سبيل الفائزين ورد الطاعنين

التوحيد

الإسراء والمعراج

بين شُبَه المنكرين وإيمان الموحدين

محمد صلى الله عليه وسلم

الرياض الندية في خصائص خير البرية

ليلة النصف من شعبان وحكم الاحتفال بها

السنة والبدعة في شعبان

مجلة • إسلامية • ثقافية • شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
العدد ٦٠٨ السنة الواحدة والخمسون - شعبان ١٤٤٣ هـ
الثمن ٥ جنيهات

بسم الله الرحمن الرحيم

فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

رئيس مجلس الإدارة
أ. د. عبد الله شاكر الجنيدي

نائب رئيس مجلس الإدارة
والمشرف العام لمجلة التوحيد
د. عبد العظيم بدوي
أ. د. مرزوق محمد مرزوق

مستشار التحرير
جمال سعد حاتم

رئيس اللجنة العلمية
د. جمال عبد الرحمن

اللجنة العلمية
معاوية محمد هيكل
د. محمد عبد العزيز السيد
د. عاطف التاجوري

الاشتراك السنوي
١- في الداخل ١٠٠ جنيه توضع في حساب المجلة رقم/١٩١٥٩٠ ببنك فيصل الإسلامي مع إرسال قسيمة الإيداع على فاكس المجلة رقم/ ٠٢٢٣٩٣٠٦٦٢
٢- في الخارج ٤٠ دولارا أو ٢٠٠ ريال سعودي أو مايعادلهما

مطابع الأهرام التجارية ACP

السلام عليكم

رويبضة العصر !!

قَال المصطفى صلى الله عليه وسلم: «إنَّها ستَأتي على الناس سُنونٌ خَدَّاعَةٌ يُصدَّقُ فيها الكاذبُ ويُكذَّبُ فيها الصادقُ ويؤتَمنُ فيها الخائنُ ويُخوَّنُ فيها الأمينُ وينطقُ فيها الرُّويبضةُ قيل: وما الرُّويبضةُ ؟ قال : السَّفيهُ يتكلَّمُ في أمر العامَّة».

فالرُّوَيْبِضة: هُو الرَّجُلُ التَّافهُ الحقيرُ ينْطقُ في أمُور العامَّة. وهُو منْ لا يُؤبَهُ له. وهُو الفُوَيْسقُ يتكلَّمُ في أمْر العامَّة. وهو العاجز الذي ربض عن معالي الأمُور. وقعد عن طلبها..

وقد جاءَ وَصْفُ الرُّوَيْبِضة في حديث بالفسْق. وهُو ممَّا يمْنعُ مثْلهُ منْ الكلام في أمْر العامَّة.. كما جاءَ وَصْفُهُ في حديث آخر بأنَّه لا يُؤبَهُ لهُ. وهذا ممَّا يترتَّب على فسْقه. فلا حاجَة بالنَّاس إليْه. فيكُونُ بذلك خاملاً لا يُؤْبَهُ لهُ. وهو السفيه كما في الرواية السابقة

ومن مجموع هذه الصفات. وما توحي به نرى أنَّ الحديث يشير إلى صنف من الناس لا يهمَهم أمرُ الدينِ في شيء. وإنَّما هم أصحاب أهواء دنيويَّة. يرفعون رايات جاهليَّة. ويدعون إلى مبادئ ضالَّة هدَامة. ويتطلَّبون التزعَم على الناس والرئاسة. يشير إلى ذلك وصفهم بالتفاهة والفسق والحقارة. فليسوا من طلاَّب الحقّ. ولا من ملتمسيه بصدق. وإنَّما هم من الأدعياء الكاذبين. الذين لا تخفى أحوالهم على أدنى ذي بصيرة.. ولو زعموا أنَّهم يدافعون عن الحقّ. وينصرونه

التحرير

نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحوي ٤٨ مجلداً
من مجلدات مجلة التوحيد عن ٤٨ سنة كاملة

فهرس العدد

الحمد معناه ومكانته في السنة النبوية: د. عبد الله شاكر ٢
باب التفسير: د. عبد العظيم بدوي ٥
سبيل الفائزين ورد الطاعنين: د. مرزوق محمد مرزوق ٨
السعادة قرار: د. ياسر لمعي ١٢
فقه المرأة المسلمة: د. عزة محمد رشاد ١٤
السنة والبدعة في شعبان: الشيخ صلاح نجيب الدق ١٧
ورحل مؤرخ الجمعية: اللجنة العلمية ٢٠
غزوة بدر: د. سيد عبد العال ٢١
الرياض الندية في خصائص خير البرية:
الشيخ معاوية محمد هيكل ٢٤
الإسراء والمعراج بين شبه المنكرين وإيمان الموحدين:
د. محمد عبد العزيز ٢٨
الاستقامة حد فاصل بين الحرية وإشاعة الفاحشة:
د. عبد الوارث عثمان ٣٢
واحة التوحيد: علاء خضر ٣٦
دراسات شرعية: د. متولي البراجيلي ٣٨
باب الفقه: د. حمدي طه ٤١
شهر أحداث وتأريخ: الشيخ أحمد عز الدين ٤٤
التحذير من حمل نصوص الكافرين على المؤمنين:
د. عاطف التاجوري ٤٦
علمتنا كورونا: د. أشرف خليفة السيوطي ٤٨
حماية الأسرة من الأخطار: د. جمال عبد الرحمن ٥٠
تحذير الداعية من القصص الواهية: الشيخ علي حشيش ٥٣
نماذج تحتذى من أعلام وأئمة السلف:
د. محمد عبد العليم الدسوقي ٥٧
فاحشة كبرى: كتبه: الشيخ عبده أحمد الأقرع ٦١
حلاوة الإيمان: معناها وأسبابها: د. صالح بن حميد ٦٤
بموت تلميذ الفقي: فجأة بالمصيبة وتصبر بالبشريات:
د. مرزوق محمد مرزوق ٦٨
وداعًا أيها الشيخ الوفي: علاء خضر ٦٩
ليلة النصف من شعبان: الشيخ فتحي أمين عثمان ٧٠

جمعية أنصار السنة المحمدية

صاحبة الامتياز
جمعية أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير:
مصطفى خليل أبو المعاطي

رئيس التحرير التنفيذي:
حسين عطا القراط

مدير التحرير
إبراهيم رفعت أبو موته

الإخراج الصحفي:
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

إدارة التحرير ‖
٨ شارع قولة عابدين. القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧. فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني ‖
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

ثمن النسخة

مصر ٥٠٠ قرش ، السعودية ٦ ريالات ،الإمارات ٦ دراهم ،الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا دولاران ، أوروبا ٢ يورو

٩٢٠ جنيهاً ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات
داخل مصر و٣٠٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

الحمد؛ معناه ومكانته في السنة النبوية

الرئيس العام د. عبد الله شاكر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى أصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد:

فقد ذكرت في اللقاء السابق بعض الآيات التي وردت فيها كلمة «الحمد»، وبينت دلالتها على عظيم فضله ومكانته، وسأذكر هنا -بإذن الله- بعضا مما ورد في السنة النبوية الشريفة مما يدل على فضائل الحمد.

ومن ذلك أن في الجنة بيتًا يقال له: «بيت الحمد» يخص الله به الحامدين لربهم في السراء والضراء، كما في حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم، فيقول الله: قبضتم ثمرة فؤاده فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله: ابنوا لعبدي بيتًا في الجنة وسموه: بيت الحمد». (أخرجه الترمذي وحسنه الألباني صحيح سنن الترمذي ج١/٢٩٨).

وقد أضاف الله الحمد إلى البيت جزاءً لفعل العبد الذي حمد ربه عند المصيبة والجزاء من جنس العمل، ومن فضائل الحمد: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفتتح خطبه بالحمد، كما في حديث جابر ابن عبد الله رضي الله عنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس بحمد الله ويثني عليه بما هو أهله». (مسلم (٨٦٧)).

قال ابن القيم رحمه الله: وكان صلى الله عليه وسلم يفتتح خطبه كلها بالحمد لله، ولم يحفظ عنه في حديث واحد أنه كان يفتتح خطبتي العيدين بالتكبير، وإنما روى ابن ماجه في سننه عن سعد القرظ مؤذن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يكثر التكبير بين أضعاف الخطبة، ويكثر التكبير في خطبتي العيدين، وهذا لا يدل على أنه صلى الله عليه وسلم كان يفتتحها به. (زاد المعاد ج١/٣٢٠).

ومن فضائل الحمد أنه يملأ ميزان العبد يوم القيامة، كما جاء في حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماوات والأرض، والصلاة نور والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها». (مسلم ٢٢٣).

قال النووي رحمه الله: وأما قوله صلى الله عليه

وسلم: «والحمد لله تملأ الميزان، فمعناه: عظم أجرها وأنه يملأ الميزان، وقد تظاهرت نصوص القرآن والسنة على وزن الأعمال وثقل الموازين وضعفها». وأما قوله صلى الله عليه وسلم: «وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماوات والأرض». فمعناه: لو قدر ثوابهما جسمًا لملأ ما بين السماوات والأرض، وسبب عظم فضلهما ما اشتملتا عليه من التنزيه لله تعالى بقوله: «سبحان الله»، والتفويض والافتقار إلى الله تعالى بقوله: «الحمد لله». (انظر: شرح النووي على مسلم ج٣/١٠١).

وقد ختم البخاري رحمه الله جامعه الصحيح بحديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم». (صحيح البخاري ٧٥٦٣).

وقد دل الحديث على أن التسبيح مع الحمد من أفضل أنواع الذكر، وبهما يثقل الميزان؛ لأن التسبيح فيه تنزيه لله تعالى عما لا يليق به، والتحميد ثناء على الله تعالى بما هو أهله، وقد جمع الذاكر بينهما، وقد ذكر ابن حجر أن في الحديث ترغيبًا وتخفيفًا وحثًا على الذكر المذكور لمحبة الرحمن له، والخفة بالنسبة لما يتعلق بالعمل، والثقل بالنسبة لإظهار الثواب. (انظر: فتح الباري ج١٣/٥٤٢).

ومن فضائل الحمد: أنه من غراس الجنة، كما في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقيت إبراهيم ليلة أسري بي، فقال: يا محمد، أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله، والله أكبر». (أخرجه الترمذي وحسنه الألباني. انظر: صحيح سنن الترمذي ج٣/١٦٠).

وأخرج الترمذي أيضًا بسند صحيح عن جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة».

ومن فضائل الحمد أنه أفضل الدعاء، كما في حديث جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أفضل الذكر: لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء: الحمد لله». (الحديث حسنه الألباني كما في صحيح سنن الترمذي ج٣/١٤٠).

ومن فضائل الحمد أنها كلمة إذا قالها العبد تبادرتها الملائكة وتنافسوا فيما بينهم أيهم يكتبها أولا، كما جاء في حديث رافع بن رفاعة رضي الله عنه، قال: «كنا يومًا نصلي وراء النبي صلى الله عليه وسلم فلما رفع رأسه من الركعة قال: «سمع الله لمن حمده»، قال رجل وراءه: ربنا ولك الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، فلما انصرف قال: من المتكلم؟ قال: أنا. قال: رأيت بضعة وثلاثين ملكًا يبتدرونها أيهم يكتبها أول». (صحيح البخاري ٧٩٩).

ومن فضائل الحمد أن العبد إذا قال في صلاته: «الحمد لله رب العالمين» قال الله: "أثنى عليّ عبدي"، ويلاحظ أن الله أضاف عبده إليه إضافة تشريف وتكريم، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: الرحمن الرحيم، قال الله تعالى: أثنى علي عبدي، وإذا قال: مالك يوم الدين، قال: مجدني عبدي». (صحيح مسلم ٣٩٥).

وقد ذكر النووي رحمه الله عن بعض أهل العلم: أن قول الله تعالى: «حمدني عبدي وأثنى علي ومجدني، إنما قاله لأن التحميد والثناء بجميل الفعال، والتمجيد: الثناء بصفات الجلال». (انظر: شرح النووي على مسلم ج٤/١٠٤).

ومن فضائل الحمد: أن الله -تبارك وتعالى- يحبه، كما جاء في حديث الأسود بن سريع رضي الله عنه قال: كنت شاعرًا، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: إني مدحت ربي بمحامد. قال: «أما إن ربك يحب الحمد ويحب من يحمده». والحديث حسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد رقم (٦٦٠)، فالزم يا عبد

الله حمد ربك على الدوام، وتقرب إلى الله بذلك.

وقد شرع الله الحمد في مواطن فلا تغفل عنها، ومنها: الرؤيا التي تعجب الإنسان. كما جاء في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا رأى أحدكم رؤيا يحبها فإنما هي من الله، فليحمد الله عليها وليُحدث بها، واذا رأى غير ذلك مما يكره فإنما هي من الشيطان فليستعذ من شرها ولا يذكرها لأحد، فإنها لا تضره». (صحيح البخاري ٦٩٨٥).

ومن مواطن الحمد: أن العبد إذا عطس عليه أن يحمد الله، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب، فإذا عطس فحمد الله فحق على كل مسلم سمعه أن يشمته، وأما التثاؤب فإنما هو من الشيطان فليرده ما استطاع، فإذا قال: هاء ضحك منه الشيطان». (صحيح البخاري ٦٢٢٣).

وحمد الله مهم في هذا الموطن وبعض أهل العلم ذهب إلى وجوبه.

قال ابن حجر: «وظاهر الحديث يقتضي وجوبه لثبوت الأمر الصريح به، ولكن نقل النووي الاتفاق على استحبابه». (فتح الباري ج١/ ٦٠٠).

والعطاس نعمة من الله على عباده، فاقتضى ذلك أن يشكر العبد ربه عليه، وذلك يكون بحمده سبحانه.

وقال الحليمي رحمه الله: «الحكمة في مشروعية الحمد للعاطس: أن العطاس يرفع الأذى من الدماغ الذي فيه قوة الفكر، ومنه منشأ الأعصاب التي هي معدن الحس، وبسلامته تسلم الأعضاء، فيظهر بهذا أنها نعمة جليلة، فتناسب أن تقابل بالحمد لله، لما فيه من الإقرار لله بالخلق والقدرة واضافة الخلق إليه، لا إلى الطبائع». (فتح الباري: ج١/٦٠٢).

وإذا لم يحمد العاطس ربه ومولاه فلا يشمت، وقد بوّب البخاري في الصحيح بابًا قال فيه: باب الحمد للعاطس، ثم ساق تحته حديث أنس بن مالك رضي الله عنه وفيه يقول: «عطس رجلان عند النبي صلى الله عليه وسلم فشمّت أحدهما ولم يُشمّت الآخر، فقيل له، فقال: هذا حمد الله، وهذا لم يحمد الله». (صحيح البخاري ٦٢٢١).

ومن مواطن الحمد: حمد الله تعالى عند قيام العبد لصلاة الليل، كما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا تهجد من الليل قال: «اللهم لك الحمد؛ أنت نور السماوات والأرض، ولك الحمد، أنت قيم السماوات والأرض، ولك الحمد، أنت رب السماوات والأرض، ومن فيهن، أنت الحق، ووعدك الحق، وقولك الحق، ولقاؤك الحق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمت وبك آمنت، وعليك توكلت واليك أنبت وبك خاصمت واليك حاكمت. فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت، أنت إلهي لا إله إلا أنت». (صحيح البخاري ٧٤٩٩).

ويظهر من هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعترف وهو واقف بين يدي ربه يتهجد بحقوق الله تبارك وتعالى، ويقر بصدقه، ووعده ووعيده، فناسب ذلك أن يحمد ربه ويثني عليه، ولذلك أقول: على العبد في مثل هذه المواطن أن يتزلف بين يدي ربه بحمده وحسن الثناء عليه، وأن يواظب على ذلك، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في دبر كل صلاة كما في حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في دبر كل صلاة إذا سلم: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد». (صحيح البخاري ٦٣٣٠).

كما كان صلى الله عليه وسلم يحمد ربه إذا قام من فراشه كما في حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال: الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا واليه النشور. (صحيح البخاري ٦٣١٢).

كما كان صلى الله عليه وسلم في آخر حياته يكثر من التسبيح والتحميد والاستغفار، كما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول قبل أن يموت: سبحانك اللهم وبحمدك، أستغفرك وأتوب إليك». (صحيح البخاري ٤٩٦٨).

فاحرص يا عبد الله على حمد ربك في جميع أحوالك مقتديًا بالنبي صلى الله عليه وسلم، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

سُورَةُ الْعَنكَبُوتِ

قال الله تعالى:

«وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٣) يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (٥٤) يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٥٥) يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ (٥٦) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٥٧)»

(العنكبوت: ٥٣- ٥٧)

إعداد **د. عبد العظيم بدوي**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

إنكار استعجال الكافرين عذاب ربّ العالمين:

ولقد كانوا من شدة تكذيبهم بيوم الدين، وما أعد لهم فيه من العذاب المهين، يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعجل لهم هذا العذاب في الدنيا. «وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ» (ص: ١٦)، «وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ» (الأنفال: ٣٢)، فأنكر الله تعالى عليهم هذا الاستعجال، وبيّن الحكمة في عدم إجابتهم، فقال: «ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب»:

لقد استحقوا العذاب بكفرهم، ولكن الله برحمته يؤخره لأجل مسمى رحمة بهم، لعلهم يتوبون، كما قال تعالى: «وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا» (الكهف: ٥٨)، ولكن القوم لكفرهم وجهلهم بحقيقة عذاب الله استعجلوه، فأنكر الله عليهم هذا الاستعجال، فقال: «ويستعجلونك بالعذاب» !؟ ثم بين العلة المانعة من مجيء العذاب، فقال: «ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب»، فقد استحقوه، ثم أكد على مجيئه فقال: «وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون» كما أتى الذين من قبلهم، كما قال تعالى: «وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ (٤) فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا إِلَّا أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ» (الأعراف: ٤، ٥)، وقال تعالى: «وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ (١١) فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ (١٢) لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ (١٣) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (١٤) فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ» (الأنبياء: ١١- ١٥)، ولذلك قال للمعاصرين: «أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ (٩٧) أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٩٨) أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ» (الأعراف: ٩٧-٩٩)، وقد جاءهم العذاب يوم بدر على حين غفلة، وقد خرجوا مختالين فرحين، يريدون أن يسمع بهم الناس، «فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» (الزمر:

٢٦)، كما قال تعالى في يوم بدر: «إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان (١٢) ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب (١٣) ذلكم فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار» (الأنفال: ١٢-١٤).

ثم أعاد الله تعالى إنكاره عليهم استعجال العذاب، فقال: «يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين ٥٤ يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم»، كما قال تعالى: «إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها» (الكهف٢٩)، وقال تعالى: «لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين» (الأعراف: ٤١)، وقال تعالى: «لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل» (الزمر: ١٦). فهل يستعجل هذا العذاب إلا جاهل أحمق، ولذلك قال تعالى: «ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين (٣٨) لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون (٣٩) بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون» (الأنبياء: ٣٨- ٤٠).

قال الزمخشري عفا الله عنه: جواب «لو» محذوف، و«حين» مفعول به ليعلم، أي لو يعلمون الوقت الذي يسألون عنه بقولهم: «متى هذا الوعد»، وهو وقت صعب شديد، تحيط بهم فيه النار من قدام ومن خلف، فلا يقدرون على دفعها عن أنفسهم، ولا يجدون أيضا ناصرا ينصرهم، لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال، ولكن جهلهم به هو الذي هونه عليهم. ويجوز أن يكون «يعلم» متروكا بلا تعدية، بمعنى: لو كان معهم علم ولم يكونوا جاهلين لما كانوا مستعجلين.

و«حين»: منصوب بمضمر، أي حين لا يكفون عن وجوههم النار يعلمون أنهم كانوا على الباطل، وينتفي عنهم هذا الجهل العظيم، أي: لا يكفونها، بل تفاجئهم فتغلبهم. (الكشاف: ١٢/٣). وانما حسن حذف الجواب لأن ما تقدم يدل عليه. وهذا أبلغ. وقد تكرر في القرآن كثيرا.

وأما قوله تعالى: «ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون» فمعناه: ويقول لهم خازن النار، أو الملك الموكل بتعذيبهم تهكما، وتوبيخا، وتبكيتا: «ذوقوا ما كنتم تعملون»، «ذوقوا فتنتكم هذا الذي كنتم به تستعجلون» (الذاريات: ١٤)، كما قال تعالى: «يوم يدعون إلى نار جهنم دعا (١٣) هذه النار التي كنتم بها تكذبون (١٤) أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون (١٥) اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم إنما تجزون ما كنتم تعملون» (الطور: ١٣-١٦).

ترغيب الله تعالى المؤمنين في الهجرة:

«يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون ٥٦ كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون ٥٧ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين ٥٨ الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون ٥٩ وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم».

قوله تعالى: «يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون» استئناف ابتدائي وقع اعتراضا بين الجملتين المتعاطفتين: جملة: «والأرض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون»، وجملة: «والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا»، وهذا أمر بالهجرة من دار الكفر، ومناسبته لما قبله: أنه سبحانه لما أبلغ في الانذار، وحذر من الأمور الكبار، ولم يهمل الإشارة إلى الصغار، وكانت هذه الآيات في المتعنتين من الكفار، وكان قد كرر أن هذه المواعظ إنما هي للمؤمنين، قال مخاطبا لهم معرضا عن سواهم إذ كانت أسماعهم لبليغ هذه المواعظ قد أصغت، وقلوبهم لجليل هذه الانذارات قد استيقظت، «يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة» أي في الذات والرزق، وكل ما تريدون من الرفق. فإن لم تتمكنوا بسبب هؤلاء المعاندين الذين يفتنونكم في دينكم ويمنعونكم من الاخلاص لي في أرضكم، والاجتهاد في عبادتي حتى يصير الإيمان لكم وصفا، فهاجروا إلى

أرض تتمكنون فيها من ذلك. (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٤٦٥/١٤).

«فإياي فاعبدون»، وتقديم المعمول على العامل هنا هو كما في قوله تعالى: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» (الفاتحة: ٥)، والسر فيه إفادة الاختصاص، والحصر والقصر، فالعبادة لله وحده، لا لغيره استقلالا ولا على وجه الشركة، كما قال تعالى: «فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ» (الزمر: ٢، ٣).

وقد استجاب الصحابة رضي الله عنهم لربهم، فهاجروا إلى الحبشة مرتين، ثم هاجروا إلى المدينة، فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم لحقه كل المؤمنين إلا المستضعفين.

الهجرة باقية:

وما زال هذا الأمر باقيا في حق كل من يعجز عن إقامة دينه واظهار شعائره في أرض أن يهاجر إلى أرض أخرى مادام قادرا على الهجرة، فإن قعد فقد ظلم نفسه، قال تعالى: «إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝٩٧ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ۝٩٨ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا» (النساء: ٩٧- ٩٩).

أي البلاد أفضل للإقامة؟

ومن هذا يتبين أن وظيفة الإنسان هي عبادة الرحمن، كما قال تعالى: «وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» (الذاريات: ٥٦)، فعلى الإنسان أن يحرص على القيام بهذه الوظيفة حيثما تيسرت له، في أي أرض كانت. ولذلك سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: هل تفضل الإقامة في الشام على غيره من البلاد؟

فأجاب رحمه الله: الإقامة في كل موضع تكون الأسباب فيه أطوع لله ورسوله، وأفعل للحسنات والخير، بحيث يكون أعلم بذلك، وأقدر عليه، وأنشط له، أفضل من الإقامة في موضع يكون حاله فيه في طاعة الله ورسوله دون ذلك، هذا هو الأصل الجامع، فإن أكرم الخلق عند الله أتقاهم. (مجموع الفتاوى ٢٧/٣٩).

ولما كانت الهجرة مظنة الخطر الذي قد يفضي إلى الموت، أعلم الله تعالى عباده أن الموت قضاء مبرم، وحكم لازم، فقال تعالى:

«كل نفس ذائقة الموت» فإن قعدتم عن الهجرة مخافة الموت فإن القعود لن يدفعه عنكم، كما أن الخروج لا يجلبه قبل موعده، فإن الأمر كما قال تعالى: «وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا» (آل عمران: ١٤٥)، وقال تعالى عن المنافقين الذين قعدوا عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد، وعابوا على إخوانهم الذين خرجوا، فقال تعالى: «ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ» (آل عمران: ١٦٨)، ونهى الله تعالى المؤمنين عن التشبه بهم في هذا الفعل والقول: «يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير ١٥٦ ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون» (آل عمران: ١٥٦، ١٥٧)، واذ الأمر كذلك فلا يجوز للعاجزين عن إقامة دينهم أن يقعدوا عن الهجرة مخافة الموت.

وفي قوله تعالى: «كل نفس ذائقة الموت» إشارة إلى أن للموت مذاقا، وكل نفس ستذوقه، وانه لمذاق مر صعب، نسأل الله أن يهونه علينا.

وقوله تعالى: «ثم إلينا ترجعون» بعد الموت للحساب، كما وقال تعالى: «قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ» (السجدة: ١١)، «لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى» (النجم: ٣١)، «فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ» (الزلزلة: ٧، ٨)، «والذين آمنوا بالباطل وللحديث بقية إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين.

سبيل الفائزين وردّ الطاعنين

إعداد أ.د. مرزوق محمد مرزوق
نائب المشرف العام

الحمد لله المتفضل علينا بالعبودية، والمتكرم علينا بأسباب الرحمة والسعادة الأبدية، والصلاة والسلام على خير البرية وآله وصحبه ومن كان له وليًا، وبعد:

فإنه قد أطل علينا شهر من أشهر النفحات: شعبان من أيام الله المباركات، ومن بركته أنه بشريات بقدوم رمضان شهر الرحمات والبركات، والله نسأل أن يبلغنا الشهر الفضيل سيد الشهور في الدهور، وقد تفضل الله علينا بحديث يجمع بين المعاني والمباني من توضيح لسبيل المؤمنين إلى مرضاة رب العالمين، فضلاً عن رد الطاعنين والانتصار للشرع الحكيم.

الحديث:

عن أبي عَبْدِ اللَّهِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الأَنْصَارِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- "أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَقَالَ: أَرَأَيْت إذَا صَلَّيْت الْمَكْتُوبَاتِ، وَصُمْت رَمَضَانَ، وَأَحْلَلْت الْحَلَالَ، وَحَرَّمْت الْحَرَامَ، وَلَمْ أَزِدْ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا؛ أَأَدْخُلُ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: نَعَمْ".

التخريج: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة رقم (٤٤).

مناسبة الحديث ومنزلته:

إن حديثنا الذي تفضل الله به علينا يعد من كنوز السنة كما قال عنه أسلافنا: "فهو جامع للإسلام أصولاً وفروعًا"، (كما قاله ابن حجر الهيتمي في فتح المبين ١٦٢).

(وبنحوه قال القاضي عياض في إكمال المعلم في شرح صحيح مسلم، للأبيّ (١/ ١٤٢ ح ١٥). وتفصل في (الجواهر اللؤلوية شرح الأربعين النووية)٢١٣(فقال رحمه الله: "هذا الحديث عظيم الموقع، وعليه مدار الإسلام لجمعه له: وذلك لأن الأفعال إما قلبية أو بدنية، وكل منهما إما مأذون فيه وهو الحلال، أو ممنوع منه وهو الحرام، فإذا أحل الشخص الحلال وحرم الحرام: فقد أتى بجميع وظائف الدين".

إذا أتى الإنسان بجميع وظائف الدين فقد حقق المراد من:

١- التربية الايمانية ونحن في استقبال هذه المواسم الربانية.

٢- واذا حقق هذه التربية الايمانية فهو أبلغ رد عملي يترجى معه معية رب العالمين على هؤلاء المتجرئين على الدين.

٣- وكذلك موعظة هؤلاء المتجرئين، واعلامهم أن نجاتهم لا تكون إلا بتحليلهم الحلال وتحريمهم الحرام، وليس بهذه العقيرة الباطلة التي يرفعون ومرباد السواد القلبي الذي يظهرون، وهو مطلب شرعي في دعوتنا ومنهجنا، فالله نسأل الهداية للجميع.

السائل في الحديث:

السائل في الحديث هو النعمان بن قوقل بن أصرم، شهد بدرًا واستشهد بأُحد، أخرج البغوي أن النعمان قال: أقسمت عليك يا رب ألا تغيب الشمس حتى أطأ بعرجتي في خضر الجنة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لقد رأيته يطأ فيها وما به من عرج") .الإصابة في معرفة الصحابة ٣/ ٥٦٤ رقم ٨٧٥٥).

المعنى العام:

اللهُ تعالى تفضَّل ففرض على عباده فُروضًا، وتفضَّل فرتَّب على الفروض برحمته وعودًا، ومن هذا ما كان في حديثنا أنَّ النُّعمان بن قوقلٍ رَضيَ اللهُ عنه جاءَ إلى النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فسأل: هل إذا صلَّى ما فرض الله من صلاة وما أوجب الله من صيام، وأحل الحلال وحرم الحرام اعتقادًا وعملاً، ولم يزد على ذلك من النوافل، «شيئًا»، فهل هذا ينجيه من النار ويُدخله الجنَّة؟ فقال النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: «نعَمْ»، أي: إنَّك لو فعلت هذا تدخُلُ الجنَّة، فالله أكبر على ذلكم الموعود على لسان سيد كل مولود.

ومما يستفاد من الحديث:

١- أنَّ أول فائدة تصل الفوائد بما سبق من معان فرائد هي حرص الصحابة على الجنة، وما يقرب إليها من عمل:

وكيف لا وهم خير القرون بشهادة رسولنا المعصوم، وهنا يسيطر على العقل سؤال هو الشاهد من الفائدة هو: وهل يكتفي صحابي فضلاً عن كونه النعمان المجاهد الأبي هل يكتفي من الأعمال بالقليل ويزهد مثله في الكثير من السنة ويترك الفضل وهو المبشر بالجنة؟

فالجواب: لا وألف فوقها، ثم هل يتصور من مسلم حريص على الخير فضلاً عن صحابي جليل أن يُعرض عن السنن بالكلية؟!

وانما توجيه الحديث من وجوه: أن الله تفضل علينا بذكر القليل من الأعمال رحمة في التشريع ومراعاة الأحوال هذا أولاً، وكذلك فإن المعصوم عندما أتى بالإجمال في التزام العبودية باعتقاد الحلال والحرام والعمل به فاكتفى

للاعتقاد من صدق حديثه باللوامع، وللعمل من كلام المعصوم بالجوامع، أقول هذا لنفسي وإخواني ممن أكلهم نمط الحياة السريع فأكسبهم تسارعًا كنمط الحياة الذي نحياه، فاكتفوا من الإسلام بالفرائض، فالسُّنة السنة يا عباد الله، لقد بالغ أسلافنا في فضل السنة حتى قال القرطبي في المفهم: قال علماؤنا: لو أن أهل بلدة تواطؤوا على ترك سنة لقُوتلوا عليها حتى يرجعوا، ولقد كان صدر الصحابة رضي الله عنهم، ومن بعدهم يثابرون على فعل السنن والفضائل مثابرتهم على الفرائض، ولم يكونوا يُفرِّقون بينهما في اغتنام ثوابها.) المفهم شرح مسلم، للقرطبي ١/١٦٦ ح(١).

٢- أن المنع والإباحة اعتقادًا وعملًا لا يكون إلا لله؛ فلا حلال إلا ما أحلَّ الله، ولا حرام إلا ما حرم الله؛ وتلكم هي ثاني الفوائد، وأهمهما ظاهرة تطل برأسها وتعانق قلوب المؤمنين بقلبها، وهذا هو معنى العبودية، وللعبودية قانون لطالما نقلناه عن أسيادنا العلماء وأخرجناه بألسنة أسلافنا البلغاء يقول منطوقه: إن العبد لا يُحرِّك ساكنًا ولا يُسكِّن متحركًا إلا بإذن مولاه؛ أي إلا وهو مأذون له فيه من الشرع، لذا رتب عليها رب العزة هذا الوعد الكريم "الجنة".

هذا وإن من كمال تحرُّر المرء أن ينال شرف العبودية، بالاستجابة لرب البرية فلا حلال إلا ما أحل، ولا حرام إلا ما حرم، ولا يكون إيمانه إلا بذلك كما قال تعالى: « فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا » (النساء:٦٥)، إن شرف الاسم بشرف المسمى والمنتسب إليه؛ فأي شرف أشار إليه الموفق الذي قال:

ومما زادني شرفًا وتيهًا
وكدت بأخمصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك يا عبادي
وأن صيَّرت أحمد لي نبيا

فيا أيها الموفق الحبيب: لا يُغرنك حقد حاقد، ولا حسد حاسد، ولا تدبير عدو، ولا تحالف الشياطين؛ فإن دينك محفوظ من رب العالمين، ولا عليك إلا أن تضرب بسهمك وتتمسك بموطن قدمك في قافلة المتسننين الناجين، بما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه؛ فكن رابط الجأش ثابت الأقدام.

هذا ولما كان المراد من ذكر حديثنا الشريف هو الهدفين السالف ذكرهما، وأعني منهج المجلة العلمي، فضلاً عن معالجة الواقع العملي للقيام بدورها المجتمعي، ولما أحاط بنا من حملة شرسة اجتمعت فيها كل جيوش الشر على دين الحق يرمونه عن قوس واحدة؛ لكنهم أحاطوا به من جوانب شتى فتارة يضربونه في أزهره الشريف المؤسسة الرسمية ليست في مصر، بل في العالم كله، وتارة يضربونه في علمائه من وقتنا الذي نعيشه ووصولاً إلى أصوله من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، إنهم تكلموا في الصحابة والتابعين وفي السلف والعلماء العاملين والأئمة المجتهدين، ثم دخلوا على النصوص الثوابت من العقائد والفرائض، ولم يخطر ببالنا يومًا أن يتكلموا في حادثة فُرضتْ فيها الصلاة على المسلمين معجزة المعراج، صاحبها تكلم في الصحابة من قبل وتركوه، ثم تكلم عن الحجاب والعفة وما تعرضوا له ولا منعوه، ثم سخر من صريح القرآن وما سجنوه، ثم تعرض لأعراض نسائنا في صعيد مصر الشريف وما أهانوه، ثم ها هو يتكلم في المعراج وما فرض فيه وننتظر قضاء الله فيه.

يا أحبابي! القضية ليست في رجل لم يتعلم ويظن خلاف ذلك فوزنه في حياة الناس ليس بشيء كما هو مجمع عليه، لكن القضية أظنها أعمق من هذا؛ إنها أجندات خارجية إلحادية لأصحاب الأفكار الهدامة المرضية الذين لا يريدون لنا استقرارًا ولا لبلادنا عمارًا؛ فأي فتنة يحدثها هؤلاء عندما يطعنون للناس في نبيهم ودينهم وعقائدهم وثوابتهم هل يريدون إشعال فتن طائفية وخلخلة مجتمعية لوطن محفوظ بإذن الله؟! أم يستعجلون عقابًا إلهيًا على شيوخ ونساء وأطفال يدينون بدين الفطرة؟ أو يريدون قطع الصلة بيننا وبين نبينا وأسلافنا وصالحي آبائنا، فنكون كالريشة في مهب الريح لا أصل لنا ولا جذور.

يا سادة! إن الله عز وجل لما خلقنا، وأرسل رُسُله لنا لم يتركنا حتى رتّب لنا حياتنا وآخرتنا، فكان من ذلك التدبير الهدي الذي تركه لنا نبينا؛ لذلك فإنني لو سألت نفسي سؤالاً يتكرر عن علاج لهذه الحملات ومواجهة لتلكم العداوات؟ فإنني أقول: إنه كثير وكثير جدًا والحمد لله ومنه ما في هذا الحديث، واختصاره هو ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من (إحلال الحلال وتحريم الحرام)، ثم إنني بعد أحدث نفسي شفيقًا مذكرًا: كيف يأمن على نفسه من اعتقد تحليل ما أجمع على تحريمه، أو تحريم ما أجمع على تحليله؟! والله تعالى يقول: (وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ)(النحل:١١٦).

الوجوه المتعددة والمراتب المتفاوتة لمنكري التشريع والسنة:

وقد ضل في هذا الباب فئات تختلف أحكامهم في الشرع باختلاف الدرجات -وإن كنا لسنا بصدد إصدار أحكام، إنما نذكرهم إشارة للبيان-، والله نسأل لنا ولكم الثبات، ولمن ضل عن الحق الهداية والرشاد؛ فمنهم الملاحدة، ومنهم غلاة التكفير والتجريح والتفجير، ومنهم المبتدعة المفرطة، ومنهم عباد الهوى الزنادقة؛ بعضهم يُحرِّمون ويُحلّلون من تلقاء أنفسهم ليوافق دينهم أهواءهم، كما قال الله في حق الكفار الذين كانوا يُغيّرون تحريم الشهور: (إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ)(التوبة:٣٧).

وفئة غلبتهم شقوتهم فقادهم غلوهم إلى مخالفتهم؛ فحرّموا وحلّلوا بحسب ما رأوا لا بحسب ما أملى عليهم النص الشريف، فكان منهم المُكفِّرون والمفجِّرون والمجرِّحون والمنكرون، ثم فئات أخرى متفرعة عن تلكم الفئات ممن وُجِدَ في صدره حرج من سنة خير البريات؛ فلهؤلاء ونفسي أقول ما قاله الموفق: حافظ بن أحمد الحكميّ -رحمه الله- داعيًا لاتباع السُّنة وتعظيم الأحكام الشرعية، وترك الشك المناقض للإيمان، فقال رحمه الله:

حكِّمْ نبيَّك وانْقَدْ وارْضَ سُنَّتَهُ
مَعَ اليقينِ وحَوْلَ الشكِّ لا تَحُمِ
فما لذي ريبةٍ في نفسِه حرجٌ ممَّا
قضى قطُّ في الأيمانِ منْ قَسَمِ
(فلا وربِّكَ) أقوى زاجرًا لأُولي الألبابِ
والمُلحدُ الزِّنديقُ في صَمَمِ

وللحديث صلة إن شاء الله، وفي هذا القدر من العبد الكفاية، والله حسبنا، ومنه الهداية.

السعادة قرار

إعداد د. ياسر لمعي عبدالمنعم
أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية المساعد جامعة غينيا العالمية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فالسعادة جنة الأحلام ومنتهى الآمال، كل البشر ينشدها، وقليل مَن يدركها، مع اختلاف العباد ومعايشهم، وتباين وسائلهم وغاياتهم وتنوع لغاتهم وأجناسهم.

ومع افتراق مشاربهم وطموحاتهم، إلا أنهم متفقون على طلب السعادة؛ لتوجعهم من مكابدة الحياة وآلامها؛ لطمعهم في حياة سعيدة هنيئة لا أحزان فيها ولا هموم.

إذًا السعادة قرار:

اطلعت على نتيجة استبيان أُجري على حوالي ستة عشر ألف إنسان بمختلف المذاهب والأفكار والمشارب والثقافات، سُئلوا فيه: ما هي السعادة؟ كانت إجاباتهم كالتالي:

أولًا: السعادة هي الحب (٣٥٪) تقريبًا.

ثانيًا: السعادة هي الرضا (٢٨٪).

ثالثًا: السعادة هي الصحة (١٧٪).

رابعًا: السعادة هي الزواج (٧٪).

خامسًا: السعادة هي المال (٥,٥٪).

سادسًا: السعادة هي الأطفال، حوالي (٤٪)

ولعلك تلمح أخي القارئ أن جميعها تتمحور حول مسميات كلها من أمور الدنيا، ولكن لا يخفى على عاقل أن الشريعة احتوت كل هذه المسميات من حب في الله، ورضا عن النفس، وعن قدر الله، وعن صحة موهوبة من الله، وعن زوجة أكرمنا الله بها، وعن مال هبة وعطاء وعن أطفال ومؤنة.

أما السعادة الدُنيوية كما يسمونها فتنقسم إلى: سعادة نفسيَّة، وسعادة بدنيَّة، وسعادة خارجيَّة.

والسعادة فيما خلصت إليها قرار؛ في توطئة النفس ومجاهدتها والاعتماد على الله لتحقيق الخير طلبًا للرضا.

فسعادة الإنسان تتغير وتكمُن بتغير ثلاثة مؤثرات ذاتية وخارجية وداخلية تحت كل مؤثر منها تجد أسبابًا تستجلب السعادة، وتثير في النفس بهجة تشعر بها، فينشرح الصدر، ويفرح القلب، وتسعد الروح، ويبتسم الوجه.

من هذه الأسباب المؤثرات العقدية

وتتلخص هذه المؤثرات في عقيدة الفرد، وقيمه، ودورهما في سعادته.

إذ إن السعادة الإيمانية متنامية لا متناقصة، تعقبها راحة نفسية، وتوازن فكري، واستقرار عاطفي، وثقة بالنفس، وتفاؤل تجاه الأزمات،

ويقين في الله عند الكرب، ونفس متألقة مبدعة؛ لأنها اتصلت بالله!

ولقد سجل الله - عز وجل - أن الأمن النفسي المنشود الذي يطلبه الأفراد أصحاب الأنفس الطيبة التوابة الأوابة التي تسمو بصاحبها، وتطلع إلى السماء، وتنظر فيها طالبة للسعادة تنظر نظرة في النجوم، وتتطلع لانشراح الصدر قال تعالى: «ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ» (الأنعام:٨٢).

كما أن السعادة والأمن النفسي مفقود عند أهل الشرك والظلم والمعاصي، فالسعادة الحقيقية في القلوب، ولا يملأ القلوب ويجمع شعثها إلا محبة الله - عز وجل - والإيمان به، ولهذا قال سبحانه: «فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ» (طه: ١٢٣). فالهداية سعادة في القلب في الدنيا، ورضا في الآخرة.

ولا سعادة ولا راحة ولا طمأنينة كراحة وطمأنينة التوحيد والقصد، وحسن الظن، وجميل التوكل عليه، والشعور بطمأنينة القلب بقول النبي صلى الله عليه وسلم من حديث عبدالله بن مسعود: (اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك، عدل في قضاؤك). وكأن الطمأنينة والسكينة والسعادة تصب في قلب العبد صبًا لما يردد (ماض في حكمك عدل في قضاؤك).

ولذا بقدر تمام التوحيد والإيمان وكماله، بقدر ما يحصل الأمن والطمأنينة والسعادة في قلب المؤمن في الدنيا والآخرة؛ إذ يشرح الله صدر صاحبه ويدخل السرور عليه، أما الشرك - والعياذ بالله - فيوجب الشقاء والضيق في صدر صاحبه كأنما يصعد في السماء.

قال تعالى: «فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ» (الأنعام: ١٢٥).

إذا الشعور بالسعادة يختلف باختلاف الشخص وحاجته، فقد تكمن السعادة في حصولنا على ما حرمنا منه؛ ولذلك فهي عند الفقراء: الحصول على الثروة، وعند المرضى: الامتثال للشفاء، وعند المغتربين: العودة للوطن، وعند السجناء: تحقيق الحرية، وعند المظلومين: الإنصاف والعدل.

بل بعض المتزوجين يرون السعادة في الطلاق، كذلك يخيل لبعض العصاة أن السعادة في الزنا، وللعصاة المهمومين أن السعادة في شرب الخمر، وللسفهاء في عدم التقيد بالشرع بحجة الحرية!

السعادة هي شعور ممتد بالطمأنينة والرضا بكل شيء، وهي تنبع عن إيمان من القلب؛ ليست ضحك ساعة، ولا لذة ليلة. كل يطلبها، ويسعى لبلوغها، ويرجو الفوز بها. وكل له مسلك لتحقيق سعادته يتوافق مع معتقده، وطباعه، وحظوظه، وتجاربه.

فوسيلة المؤمن للسعادة ليست كوسيلة الملحد، وما يسعد هذا لا يسعد الآخر، وكذلك البخيل والكريم، والجبان والشجاع، والمنعزل والاجتماعي، فكل له سبيله ووسيلته المناسبة لمعتقده وطبعه لتحقيق سعادته، كما أنها تشتمل على عدة مفاهيم؛ فكل شخص يعرفها كما يراها من وجهة نظره.

السعادة تطمئن القلب، وتشرح الصدر، وتريح البال. السعادة هي إحساس بالمتعة والسرور. «وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ» (هود: ١٠٨).

الخلاصة: السعادة هي قرارك وقد وضعت لك بعض النقاط التي أرجو أن تنطلق منها لتتخذ قرار السعادة، ولا تجعل أحدهم يستعملك لسعادته وأنت في غياهب الحزن؛ لذا خذ قرار السعادة بالعودة والأوبة والرجعة والرضا، وسيكون لنا لقاء قريب برمضان تحت عنوان: "رمضان طريق السعادة".

فهذا مقالي إليك، لخصته لك من ورقات كنت أدندن بها لكتابي صناعة السعادة -أرجو أن تقرأ مبناه، وتستوعب معناه، ثم تستخلص بعد ذلك فحواه -كما أرجو أخيرًا- أن تتوج قراءتك لمقالي بالتواصل الهادف، والإضافة البناءة، مع نشره وشرحه وبثه للجميع ما أمكن.

هذا وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

الطلاق الذي يستحق به المتعة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم. أما بعد، فقد تحدثنا في المقالة السابقة عن الصداق، وبينا متى يجب الصداق المسمى كله؟ ومتى يجب نصف الصداق؟ وتحدثنا عن المتعة وحكمها. ونستكمل فقه النكاح سائلين الله عز وجل أن يتقبل جهد المقل وأن ينفع به المسلمين.

إعداد د/عزة محمد رشاد (أم تميم)

الطلاق الذي يستحق به المتعة:

الطلاق ينقسم إلى ثلاثة أقسام: قسم يوجب المتعة، وقسم لا يوجبها، وقسم مختلف فيه.

القسم الذي يوجب المتعة: هو طلاق المفوضة التي لم يُسَمَّ لها صداقٌ، ولا فُرِضَ لها بعد العقد صداقٌ، إذا طلقت قبل الدخول فليس لها إلا المتعة.

لقول الله تعالى: « لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ » (البقرة: ٢٣٦)، فجعل لها المتعة إذا لم يكن لها مهر ولم يدخل بها.

القسم الذي لا يوجب المتعة: هو الطلاق قبل الدخول لمن سُمِّيَ لها مهرٌ بالعقد أو فُرِضَ لها مهرٌ قبل الطلاق وبعد العقد، فلها نصف المهر المسمى أو المفروض ولا متعة لها. لقول الله تعالى: « وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ » (البقرة: ٢٣٧). فلم يجعل لها إلا نصف المهر ولأنها قد ملكت نصف المهر بما ابتذلت به من العقد فلم يجعل لها غيره لئلا يجمع بين المتعة والمهر

القسم المختلف فيه:

اختلف العلماء في الطلاق بعد الدخول لمن سُمِّيَ لها مهرٌ أو لم يُسَمَّ على قولين:

القول الأول: ذهب أبو حنيفة والشافعي في أحد قوليه واحدى الروايتين عن أحمد إلى أن المطلقة بعد الدخول ليس لها متعة إذا سمي لها مهرًا، فإن لم يسم لها مهرًا فلها المتعة.

وحجتهم في ذلك: قول الله تعالى: « لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ » (البقرة: ٢٣٦).

وجه الدلالة: أن الله تعالى أوجب المتعة بشرطين، عدم المهر وعدم الدخول. ولأنها مطلقة لم يخل نكاحها عن بدل فلم يكن لها متعة، كما لو سمي لها مهرًا ثم طلقها قبل الدخول.

القول الثاني: ذهب الشافعي في القول الثاني والإمام مالك والإمام أحمد في رواية وأهل الظاهر إلى أن المتعة حق لكل مطلقة.

وحجتهم في ذلك:

١- قول الله تعالى: « وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ » (البقرة: ٢٤١).

وجه الدلالة: أن الآية عامة لكل مطلقة إلا ما

خصه الدليل كالمطلقة قبل الدخول وليس لها مهر مسمى.

٢- قوله تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ» (الأحزاب: ٢٨).

وجه الدلالة: أن هذه الآية في نساء النبي صلى الله عليه وسلم اللاتي دخل بهن، وقد سمي لهن المهر، بدليل حديث عائشة رضي الله عنها: «كان صداقه لأزواجه ثنتي عشرة أوقية ونشا»، أخرجه مسلم (١٤٢٦).

ولأن المتعة إنما جعلت لما لحقها من الابتذال بالعقد والطلاق، والمهر في مقابل الوطء، والابتذال موجود فكان لها المتعة.

أقوال أهل العلم في المسألة:

أولاً: من قال ليس لها متعة:

قال السرخسي في المبسوط (٧١/٦): فإنما يتحقق الاختلاف في المطلقة بعد الدخول، عندنا لها المهر المسمى أو المثل إذا لم يكن في النكاح تسمية وليس لها متعة واجبة ولكنها مستحبة.

جاء في المجموع (٧٢/١٨): قال في القديم: لا متعة لها، وبه قال أبو حنيفة واحدى الروايتين عن أحمد لقوله تعالى: «لَّا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمۡ تَمَسُّوهُنَّ أَوۡ تَفۡرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ وَمَتِّعُوهُنَّ» (البقرة: ٢٣٦): فعلق المتعة بشرطين: وهو أن يكون الطلاق قبل الفرض وقبل المسيس، ولم يوجد الشرطان ههنا، وقوله تعالى: «إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ فَمَتِّعُوهُنَّ» (الأحزاب: ٤٩)، فجعل لهن المتعة قبل المسيس، وقد وجد المسيس ههنا ولأنها مطلقة لم يخل نكاحها عن بدل فلم يكن لها متعة، كما لو سمي لها مهرًا ثم طلقها قبل الدخول.

وقال في الجديد: لها متعة، وبه قال عمر وعلي والحسن بن علي وابن عمر ولا مخالف لهم في الصحابة.

قال المحاملي: وهو الأصح لقوله تعالى: «وَلِلۡمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ» (البقرة: ٢٤١)، فجعل الله المتعة لكل مطلقة، إلا ما خصه الدليل، ولقوله تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ» (الأحزاب: ٢٨)، وهذا في نساء النبي صلى الله عليه وسلم اللاتي دخل بهن، وقد سمي لهن المهر، بدليل حديث عائشة رضي الله عنها: «كان صداقه لأزواجه ثنتي عشرة أوقية ونشا»، ولأن المتعة إنما جعلت لما لحقها من الابتذال بالعقد والطلاق، والمهر في مقابل الوطء، والابتذال موجود فكان لها المتعة.

ثانيًا: من قال لها متعة:

جاء في المدونة الكبرى (٢٣٩/٢): قلت: أرأيت المتعة في قول مالك، أهي لكل مطلقة؟ قال: نعم، إلا التي سمى لها صداقا فطلقها قبل أن يدخل بها فلا متعة لها، وكذلك قال لي مالك وهذه التي استثنيت في القرآن كما ذكرت لك.

جاء في الحاوي (٥٤٨/٩): والقول الثاني: وهو قوله في الجديد لها المتعة لقول الله تعالى: «وَلِلۡمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ» (البقرة: ٢٤١)... إلى أن قال: فإن قيل فهذه الآية مجملة فسرها قوله تعالى: «لَّا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمۡ تَمَسُّوهُنَّ أَوۡ تَفۡرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ» (البقرة: ٢٣٦).

قيل: حمل الآيتين على عموم وخصوص أولى من حملها على مجمل ومفسر: لأن العموم يمكن استعماله بنفسه والمجمل لا يمكن استعماله بنفسه، ولقوله تعالى في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم: «فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا» (الأحزاب: ٢٨)، وفيه تقديم، وتقديره فتعالين أسرحكن وأمتعكن وقد كن كلهن مدخولات بهن، فدل على وجوب المتعة للمدخول بها.

ولأن إجماع الصحابة أن المتعة لكل مطلقة إلا التي طلقت قبل الدخول وفرض لها مهر.

جاء في الشرح الكبير على متن المقنع (٩٣/٨): لكل مطلقة متاع سواء كانت مفوضة أو سمى لها مدخولاً بها أو غيرها لما ذكرنا وظاهر المذهب أن المتعة لا تجب إلا بالمفوضة التي لم يدخل بها إذا طلقت.

جاء في المحلى (٣/١٠): المتعة فرض على كل مطلق واحدة أو اثنتين أو ثلاثا- أو آخر ثلاث- وطئها أو لم يطأها- فرض لها صداقها أو لم يفرض لها شيئا-: أن يمتعها، وكذلك المفتدية أيضا ويجبره الحاكم على ذلك- أحب أم كره.

جاء في السيل الجرار (٢/٢٩٠): وأما قوله سبحانه: «وللمطلقات متاع بالمعروف حقًا على المتقين» فظاهرها إيجاب المتعة لكل مطلقة مدخولة أو غير مدخولة مع الفرض أو عدمه.

تعقيب وترجيح:

والذي أختاره في ذلك وأرجحه ما ذهب إليه جمهور الصحابة، واختاره الشافعية من وجوب المتعة لكل مطلقة، إلا المطلقة قبل الدخول وفرض لها مهر، ودليل ذلك قول الله تعالى: «وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ بِٱلْمَعْرُوفِ» (البقرة: ٢٤١)، فالآية عامة في كل مطلقة كما تقدم من كلام أهل العلم ثم استثنى منها المطلقة قبل الدخول وقد فرض لها مهر، فجعل الله لها نصف المهر، ولم يجعل لها متعة، قال تعالى: «وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ» (البقرة: ٢٣٧).

قال بعض أهل العلم هي ناسخة لقول تعالى: «إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ» (الأحزاب: ٤٩)، فآية الأحزاب منسوخة، والله تعالى أعلم.

ثانيًا: النفقة والسكنى

النفقة والسكنى واجبة على الزوج، وقد دل على وجوبها الكتاب والسنة والإجماع والمعقول.

(أ) من الكتاب العزيز:

١- فقوله عز وجل: «أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ» (الطلاق: ٦): أي على قدر ما يجده أحدكم من السعة والمقدرة والأمر بالإسكان أمر بالإنفاق؛ لأنها لا تصل إلى النفقة إلا بالخروج والاكتساب.

٢- وقوله عز وجل: «وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ» (البقرة: ٢٣٣): أي وعلى والد الطفل نفقة الوالدات وكسوتهن بالمعروف، أي بما جرت به عادة أمثالهن في بلدهن من غير إسراف ولا إقتار، بحسب قدرته في يساره، وتوسطه وإقتاره- تفسير ابن كثير ط العلمية (١/٤٧٩).

٣- وقوله عز وجل: «لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ» (الطلاق: ٧): أي لينفق الزوج على زوجته وعلى ولده الصغير على قدر وسعه حتى يوسع عليهما إذا كان موسعًا عليه، ومن كان فقيرًا فعلى قدر ذلك. تفسير القرطبي (١٨/١٧٠)

(ب) من السنة:

١- ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف»- أخرجه مسلم (١٢١٨) وجزء من حديث جابر الطويل في صفة حجة النبي صلى الله عليه وسلم. وصحيح سنن أبي داود (١٩٠٥)، وابن ماجه (١٣٠٧٤).

٢- وروي أن رجلاً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ما حق المرأة على الزوج؟ فقال: «أن تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت أو اكتسبت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت»، صحيح سنن أبي داود (٢١٤٢)، ومسند الإمام أحمد (٢٠٠١١).

٣- وقال النبي صلى الله عليه وسلم لهند امرأة أبي سفيان: «خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف» أخرجه البخاري (٥٣٦٤)، ومسلم (١٧١٤).

ولو لم تكن النفقة واجبة لم يحتمل أن يأذن لها بالأخذ من غير إذنه.

(ج) من الإجماع: فلأن الأمة أجمعت على هذا. قال ابن المنذر في الإجماع (ص: ٨٣): وأجمعوا على أن الرجل إذا تزوج المرأة، ولم يدخل بها: فإن كان الحبس من قبلها فلا نفقة عليها، وإن كان من قبله فعليه النفقة.

(د) من المعقول:

فهو أن المرأة محبوسة بحبس النكاح حقًا للزوج ممنوعة على الاكتساب بحقه، فكان نفع حبسها عائدًا إليه فكانت كفايتها عليه كقوله صلى الله عليه وسلم «الخراج بالضمان»، ولأنها إذا كانت محبوسة بحبسه ممنوعة عن الخروج للكسب بحقه، فلو لم يكن كفايتها عليه لهلكت- بدائع الصنائع (٤/٢٢).

وللحديث صلة بإذن الله، والحمد لله رب العالمين.

السنة والبدعة في شعبان

إعداد الشيخ/صلاح نجيب الدق

الحَمدُ لله ربِّ العَالمينَ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أمَّا بعْدُ: فإن شهر شعبان من مواسم الطاعات التي ينبغي على المسلم أن يستفيد منها بالتقرب إلى الله تعالى بالطاعات، لذلك أحببت أن أذكر قراء مجلة التوحيد الكرام بالسُّنن التي ينبغي اتباعها في شهر شعبان، وأحذرهم من البدع التي ابتدعها بعض الناس في هذا الشهر، مخالفين بذلك هدي نبينا، صلى الله عليه وسلم.

فأقول وبالله التوفيق:

تسمية شهر شعبان

سُمي شهر شعبان بهذا الاسم لتشعب القبائل العربية في طلب المياه أو في الغارات التي كانوا يقومون بها ضد بعضهم بعد أن يخرج شهر رجب الحرام. (فتح الباري لابن حجر جـ٤ صـ٢٥١).

فضل الصوم في شعبان

من سُنة نبينا صلى الله عليه وسلم الإكثار من الصيام في شهر شعبان، والصوم له أجر عظيم عند الله تعالى.

عن عائشة قالت: لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَصُومُ شَهْرًا أَكْثَرَ مِنْ شَعْبَانَ فَإِنَّهُ كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ كُلَّهُ. (البخاري حديث ١٩٧٠).

قال الإمام ابن حجر العسقلاني رحمه الله: قولها: (يَصُومُ شَعْبَانَ كُلَّهُ) أي: يصوم معظمه.

وعن أسامة بن زيد قال: قُلْتُ: يا رَسُولَ اللَّهِ، لَمْ أَرَكَ تَصُومُ شَهْرًا مِنَ الشُّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ ؟ قَالَ: ذَلِكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ. (حديث حسن: صحيح النسائي للألباني حديث ٢٢٢١).

وعن سهل بن سعد عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ يُقَالُ أَيْنَ الصَّائِمُونَ فَيَقُومُونَ لا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ. (البخاري حديث ١٨٩٦. مسلم حديث ١١٥٢).

حكم الصوم في النصف الثاني من شعبان

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا انْتَصَفَ شَعْبَانُ، فلا تَصُومُوا.

(حديث صحيح: صحيح أبي داود حديث ٢٠٤٩).

قال الإمامُ الترمذي رحمه الله: مَعْنى هذا الحديث عند بَعْض أهل العلم: أنْ يَكُون الرَّجُل مُفطِرًا، فإذا بقي شَيْءٌ منْ شعْبان أخذ في الصَّوْم لِحال شهر رمضان. (سنن الترمذي جـ٣ صـ١١٥).

قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله: النهي في هذا الحديث يكون في حق من لم يصم شيئا في النصف الأول أو من ليس له عادة من الصوم وأراد أن يبدأ التطوع في النصف الثاني فقط. (لطائف المعارف لابن رجب صـ٢٦٠)

ليلة النصف من شعبان

عَنْ أَبي مُوسَى الأشْعَريِّ، عَنْ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم، قال: إنَّ الله ليطَّلعُ في لَيْلَة النِّصْف منْ شعْبان، فيغْفرُ لجميع خلْقه، إلا لمُشْرك أوْ مُشاحن. (حديث حسن: صحيح ابن ماجه للألباني حديث ١١٤٠)

أخي الكريم: هذا الحديث ليس فيه إلا أن الله ينزل إلى السماء الدنيا فيغفر لعدد كبير من خلقه عدا المشرك والمشاحن، ومن العجيب أن أهل البدع يتمسكون بمثل هذا الحديث فيجعلونه أصلاً لبدعهم.

بدع ليلة النصف من شعبان

سوف نتحدث عن بدع ليلة النصف من شعبان بإيجاز:

أولا: الصلاة الألفية:

الصلاة الألفية هي مائة ركعة، يقرأ المصلي في كل ركعة بعد الفاتحة، سورة الإخلاص "قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ" عشر مرات. وتسمى بالألفية لقراءة سورة الإخلاص فيها ألف مرة.

إن هذه الصلاة بهذه الصفة بدعة لم يفعلها النبي صلى الله عليه وسلم، ولا أحد من خلفائه الراشدين، ولا أحد من الصحابة (رضي الله عنهم أجمعين)، ولا استحبها أحد من أئمة الهدى كأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وغيرهم، ولو كان ذلك مشروعاً لسبقونا إليه وهم أحرص الناس على الخير.

قال الإمام النووي رحمه الله: الصلاة المعروفة بصلاة الرغائب وهي ثنتي عشرة ركعة، وتصلي بين المغرب والعشاء ليلة أول جمعة في رجب وصلاة ليلة نصف شعبان مائة ركعة وهاتان الصلاتان بدعتان منكرتان قبيحتان ولا يُغتر بذكرهما في كتاب قوت القلوب واحياء علوم الدين ولا بالحديث المذكور فيهما؛ فإن كل ذلك باطل ولا يُغتر ببعض من اشتبه عليه حكمهما من الأئمة فصنف ورقات في استحبابهما؛ فإنه غالط في ذلك وقد صنف الشيخ الإمام أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي كتابا نفيساً في إبطالهما فأحسن فيه وأجاد رحمه الله. (المجموع للنووي جـ٤ صـ٥٦).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: أحاديث صلاة ليلة النصف من شعبان لا يصح منها شيء. (المنار المنيف لابن القيم صـ٩٨: ٩٩)

الإمام السيوطي: بعد أن ذكر حديث: (يا علي: من صلى ليلة النصف من شعبان مائة ركعة بألف قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ" قضى الله له كل حاجة طلبها تلك الليلة) بثلاث روايات (قال رحمه الله) هذا حديث موضوع، وجمهور رواته في الطرق الثلاثة مجاهيل، وفيهم ضعفاء، والحديث محال. (اللآلئ المصنوعة للسيوطي جـ٢ صـ٥٧: ٦٠).

ثانيا: تخصيص صوم يوم النصف من شعبان

إن تخصيص صوم يوم ليلة النصف من شعبان من البدع التي ابتدعها الناس في شهر شعبان، وأما ما رواه ابن ماجه بلفظ (إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها) فحديث موضوع. (ضعيف الجامع للألباني حديث ٦٥٢).

قال المباركفوري رحمه الله: لم أجد في صوم يوم ليلة النصف من شعبان حديثاً مرفوعاً صحيحاً. (تحفة الأحوذي للمباركفوري جـ٣ صـ٣٦٨).

قال ابن عثيمين رحمه الله: إن صيام النصف من شعبان أو تخصيصه بقراءة أو بذكر، لا أصل له، فيوم النصف من شعبان كغيره من أيام النصف في الشهور الأخرى، ومن المعلوم أنه يشرع أن يصومَ الإنسانُ في كل شهر الثلاثة البيض: الثالث عشر، والرابع عشر والخامس عشر، ولكن شعبان له مزية عن غيره في كثرة الصوم، فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يُكثر الصيام في شعبان أكثر من غيره، حتى كان يصومه كله أو

إلاَّ قليلاً منه، فينبغي للإنسان إذا لم يُشقّ عليه أن يُكثر من الصيام من شعبان اقتداءً بالنبي صلى الله عليه وسلم. (مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين- جـ٢٠- صـ٢٣)

ثالثا: اجتماع الناس في المساجد لإحياء ليلة النصف من شعبان

قال عبد الرحمنِ بن زيد بن أسلم رحمه الله: لم أدرك أحداً من مشيختنا ولا فقهائنا يلتفتون إلى ليلة النصف من شعبان، ولا يرى لها فضلاً على ما سواها من الليالي. (إسناده صحيح) (البدع لابن وضاح القرطبي صـ٨٤).

قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله: قيام ليلة النصف من شعبان لم يثبت فيها شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن الصحابة. (لطائف المعارف- صـ٢٦٤).

بداية ظهور بدعة صلاة الرغائب

قال أبو محمد المقدسي رحمه الله: لم يكن عندنا ببيت المقدس قط صلاة الرغائب، هذه التي تصلى في رجب وشعبان، وأول ما حدثت عندنا في أول سنة ثمان وأربعين وأربع مئة: قدم علينا في بيت المقدس رجل من نابلس يُعرف بابن أبي الحمراء، وكان حَسن التلاوة، فقام فصلى في المسجد الأقصى ليلة النصف من شعبان، فأحرم خلفه رجل ثم انضاف إليهما ثالث ورابع، فما ختمها إلا وهم في جماعة كثيرة، ثم جاء في العام القابل فصلى معه خلق كثير، وشاعت في المسجد وانتشرت الصلاة في المسجد الأقصى وبيوت الناس ومنازلهم ثم استقرت كأنها سُنَّة إلى يومنا هذا. (الحوادث والبدع للطرطوشي صـ١٣٢).

قال الشيخ علي محفوظ رحمه الله (من علماء الأزهر الشريف): من البدع الفاشية في الناس احتفال المسلمين في المساجد بإحياء ليلة النصف من شعبان بالصلاة والدعاء عقب صلاة المغرب، يقرؤونه بأصوات مرتفعة بتلقين الإمام، فإن إحياءها بذلك على الهيئة المعروفة، لم يكن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا في عهد الصحابة. (الإبداع لعلي محفوظ- صـ٢٨٦).

رابعاً: دعاء المحو والإثبات:

من البدع التي ابتدعها الناس أيضاً في ليلة النصف من شعبان، الدعاء المعروف الذي يطلب فيه المسلم من الله تعالى أن يمحو من أم الكتاب شقاوته إن كان قد كتبه شقياً. هذا الدعاء ليس له أصل في سُنة نبينا صلى الله عليه وسلم، فلم يثبت عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولا عن الصحابة ولا عن التابعين، أنهم اجتمعوا في المساجد من أجل الدعاء في ليلة النصف من شعبان، ولا تصح نسبة هذا الدعاء إلى أحد من الصحابة.

اتباع سُنّة نبينا صلى الله عليه وسلم

ينبغي على كل مسلم أن يحرص على اتباع سُنَّة النبي صلى الله عليه وسلم، ويحذر من مخالفة السُّنَّة. قال تعالى: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (الحشر:٧)، وقال تعالى: (فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) (النساء: ٥٩)، وقال سبحانه: (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (النور:٦٣)

روى البخاري عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنا هذا ما لَيْس فيه، فَهُوَ رَدٌّ. (البخاري حديث ٢٦٩٧).

صيامُ آخر شعبان

عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا يَتَقَدَّمَنَّ أحَدُكُمْ رَمَضانَ بصَوْمِ يَوْمٍ أوْ يَوْمَيْنِ، إلَّا أنْ يَكونَ رَجُلٌ كانَ يَصُومُ صَوْمَهُ، فَلْيَصُمْ ذلكَ اليَوْمَ. (البخاري حديث ١٩١٤/ مسلم حديث ١٠٨٢).

قال ابن رجب الحنبلي: المعمول به عند كثير من العلماء أنه يكره التقدم قبل رمضان بالتطوع بالصيام بيوم أو يومين لمن ليس له به عادة، ولا سبق منه صيامٌ قبل ذلك في شعبان متصلاً بآخره. (لطائف المعارف لابن رجب صـ ٢٧٢: ٢٧٣).

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ، وَأَصْحَابِهِ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

ورحل مؤرخ الجمعية

حفل التاريخ بالكثير من الشخصيات التى سطرت صفحات مضيئة فيه، ولكنه غفل عن ذكرها فلم يـؤرخ العلماء فيه إلا لمن كان له أثر في مجريات أحداثه ، سواء بالسلب أو الإيجاب، وأسقطوا ذكر كثيرين حق لهم أن يُذكروا فيُترحم عليهم وأن يُقصَّ قصصهم فيكون فيه العبرة والعظة، فإن غفل التاريخ عنهم فالله بهم وبآثارهم عليم، فرُبَّ أشعث أغبر ذي طمرين مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره.

قدمت بهذه المقدمة القصيرة تأريخًا لمؤرخ جمعية أنصار السنة المحمدية فى هذه الأسطر فهو فضيلة الشيخ الوالد: فتحي أمين عثمان، من مواليد عام ١٣٥٣هـ.

وقد حصل على الليسانس من كلية الآداب، جامعة القاهرة، قسم التاريخ، كما حصل على دبلوم خاص في الدراسات والبحوث الإسلامية. وعمل فضيلة الشيخ فتحي عثمان كمدرسًا للتربية العسكرية بالجامعات المصرية قريباً من خمسة عشر عاماً، ثم عمل مديراً عاماً للتعليم بجامعة القاهرة ثلاثة عشر عاماً أخرى، وأخيراً مديراً لإدارة التراث بجمعية أنصار السُّنة المحمدية بالقاهرة.

من إنتاج الشيخ العلمي:

- مختارات من كتابات: أبي الوفاء درويش.
- قضية الأولياء ومحبتهم.
- قضية التوسل والوسيلة.
- من ضلالات الصوفية.
- سيد الخلق بشر.
- عبد الرحمن الوكيل وقضايا التصوف.
- رسائل في الشرك والبدع.
- الإمام محمد حامد الفقي (رائد السلفية في مصر).
- حكم الاحتفال بليلة النصف من شعبان.
- حكم الاحتفال بالمولد النبوي.
- أسباب البدع ومضارها، وأنواعها.
- من جنايات الابتداع على المسلمين.

وقد كتب فضيلة الشيخ فتحي أمين عثمان عددًا من المقالات فى مجلة التوحيد بلغت سبعة وستين (٦٧) مقالًا، بدأت بمقالة: ليلة النصف من شعبان وحكم الاحتفال بها في شهر: شعبان ، عام١٤٢٢هـ وانتهت بمقالة عن وصية الشيخ محمد حامد الفقي بعنوان: أوصيك ونفسي- فقرات من وصايا الشيخ محمد حامد الفقي- رحمه الله- مؤسس جماعة أنصار السنة المحمدية، في العدد(٥٥٠)، شهرشوال عام ١٤٣٨ هـ.

توفي فضيلة الشيخ الوالد: فتحي أمين عثمان، صباح الجمعة، الموافق: ١٧ من رجب ١٤٤٣ للهجرة- ١٨ فبراير ٢٠٢٢هـ، عن عمر يناهز ٩٠ عامًا هجريًا-٨٧ عامًا ميلاديًا.

فإن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى فلنصبر ولنحتسب.

اللَّهُمَّ فاغْفِرْ لعبدك فتحي عثمان وارْحَمْه، وعافه واعْفُ عنْه، وأكرِمْ نُزُلَه، ووسِّعْ مُدْخَلَه، واغْسله بالماء والثَّلْج والبَرد، ونَقِّه من الخَطايا كَمَا يُنقَّى الثَّوْب الأَبْيَض مِن الدَّنَس، وأبْدِلْه دارًا خيْرًا مِنْ داره، وأهْلاً خيْرًا مِنْ أهْلِه، وزوجًا خيرًا من زوجِه، وأدْخلْه الجنَّة، وأعِذْه من عذاب النَّار.

اللهم أبدله بالإحسان إحسانًا وبالسيئات عفوًا منك وغفرانًا

اللَّهمَّ إنَّ عبدكَ فتحي عثمان في ذمتكَ وحبل جوارِكَ فقِه من فتنةِ القبر وعذاب النَّار، وأنت أهل الوفاء والحق اللهم فاغفر له وارحمه إنك أنتَ الغفورُ الرحيمُ

اللهم اجعل قبره روضة من رياض الجنة، وارزقه الفردوس الأعلى من الجنة بمنك وكرمك يا أرحم الراحمين

اللهم أجرنا في مصيبتنا واخلفنا خيرًا منها.

وجمعية أنصار السنة المحمدية ومجلس إدارتها وأسرة تحرير مجلة التوحيد تنعي ببالغ الأسى فضيلة الشيخ فتحي أمين عثمان، ونسأل الله له الرحمة ولأهله الصبر والسلوان.

الحلقة 5

غزوة بدر

إعداد د/ سيد عبد العال

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد؛ فنكمل ما سبق من أحداث غزوة بدر الكبرى، وقد تناولنا في العدد السابق حال كل من الفريقين في عين الآخر، ثم عرجنا إلى تسوية صفوف المسلمين، وما كان من سواد بن غزية رضي الله عنه، والآن نكمل -بعون الله تعالى- ما كان من أحداث.

نُزول جيش قريش إلى وادي بدر ووقوع الانشقاق فيه:

قال ابن هشام: أمَّا قُرَيْشٌ؛ فقَضَتْ لَيْلَةَ بَدْرٍ في مُعَسْكَرِهَا بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى. ابن هشام (٢/ ٢٦٠).

وقد ذكر الله تعالى نزول الفريقين فقال: " "إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا" أَيْ: إِذْ أَنْتُمْ نُزُولٌ بِعُدْوَةِ الْوَادِي الدُّنْيَا الْقَرِيبَةِ إلى الْمَدِينَةِ، "وَهُمْ" أي: الْمُشْرِكُونَ نُزُولٌ "بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى" أي: الْبَعِيدَةِ الَّتِي مِنْ نَاحِيَةِ مَكَّةَ، "والرَّكْبُ" أي: الْعِيرُ الَّذِي فِيهِ أَبُو سُفْيَانَ بِمَا مَعَهُ مِنَ التِّجَارَةِ "أَسْفَلَ مِنْكُمْ" أَيْ: مِمَّا يَلِي سَيْفَ الْبَحْرِ "وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ" أَيْ: أَنْتُمْ وَالْمُشْرِكُونَ إلى مكان "لاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ" أي: وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ عَنْ مِيعَادٍ مِنْكُمْ وَمِنْهُمْ، ثُمَّ بَلَغَكُمْ كَثْرَةُ عَدَدِهِمْ وَقِلَّةُ عَدَدِكُمْ، مَا لَقِيتُمُوهُمْ، "وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولا" أَيْ: لِيَقْضِيَ اللَّهُ مَا أَرَادَ بِقُدْرَتِه مِنْ إِعْزَازِ الإِسْلَامِ وَأَهْلِه، وَإِذْلَالِ الشِّرْكِ وَأَهْلِه، عَنْ غَيْرِ مَلأٍ مِنْكُمْ؛ فَفَعَلَ مَا أَرَادَ مِنْ ذَلِكَ بِلُطْفِه. تفسير ابن كثير (٤/ ٦٦).

ولَمَّا اطْمَأَنَّتْ قُرَيْشٌ بَعَثَتْ عُمَيْرَ بنَ وَهْبٍ لِيَحْزِرَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّه -صلى الله عليه وسلم-، وَيَأْتِيَهُمْ بِعَدَدِهِمْ وَعُدَّتِهِمْ، فأخبرهم أنهم ثَلاثُمَائَةِ رَجُلٍ يَزِيدُونَ قليلا أَوْ يَنْقُصُونَ... ثم قال: وَلَكِنِّي قَدْ رَأَيْتُ، البَلَايَا تَحْمِلُ المَنَايَا؛ نَوَاضِحُ يَثْرِبَ تَحْمِلُ السُّمَّ النَاقِعَ، وَاللَّه مَا أَرَى أَنْ يُقْتَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، حَتَّى يَقْتُلَ رَجُلًا مِنْكُمْ، فَإِذَا أَصَابُوا مِنْكُمْ أَعْدَادَهُمْ فَمَا خَيْرُ العَيْشِ بَعْدَ ذَلكَ؟ فَرَوْا رَأْيَكُمْ... فَلَمَّا سَمِعَ حَكِيمُ بنُ حِزَامٍ ذَلكَ أَتَى عُتْبَةَ بنَ رَبِيعَةَ فقَالَ: هَلْ لَكَ إِلَى خَيْرٍ تُذْكَرُ بِهِ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ؟

قَالَ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: تَرْجِعُ بِالنَّاسِ، وَتَحْمِلُ أَمْرَ حَلِيفِكَ عَمْرو بنِ الحَضْرَمِيِّ، وَتَرْجِعَ بِالنَّاسِ، فقَالَ: قَدْ فَعَلْتُ... فَأْتِ أَبَا جَهْلٍ فَإِنِّي لا أَخْشَى أَنْ يَشْجُرَ أَمْرَ النَّاسِ غَيْرُهُ. السيرة النبوية (٣- ١٦٩)، وقال الألباني في هذا السند: حسن إن شاء الله.

وَقَدْ ارْتَحَلَتْ قُرَيْشٌ حِينَ أَصْبَحَتْ، فَأَقْبَلَتْ، فَلَمَّا رَآهَا رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

اللَّهمَ هَذه قُرَيْشٌ قَدْ أَقْبَلَتْ بِخُيَلَائِهَا وَفَخْرِهَا، تُحَادُّكَ وَتُكَذِّبُ رَسُولَكَ، اللَّهمَ فَنَصْرَكَ الَّذي وعدْتني، اللَّهمَ أَحِنْهُمُ الْغَدَاةَ. سيرة ابن هشام (٦٢١/١).

وعن علي رضي الله عنه: فَلَمَّا دَنَا الْقَوْمُ مِنَّا وَصَافَفْنَاهُمْ إِذَا رَجُلٌ مِنْهُمْ عَلَى جَمَلٍ لَهُ أَحْمَرَ يَسِيرُ فِي الْقَوْمِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: يَا عَلِيُّ نَادِ لِي حَمْزَةَ وَكَانَ أَقْرَبَهُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مَنْ صَاحِبُ الْجَمَلِ الْأَحْمَرِ وَمَاذَا يَقُولُ لَهُمْ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "إِنْ يَكُنْ فِي الْقَوْمِ أَحَدٌ يَأْمُرُ بِخَيْرٍ؛ فَعَسَى أَنْ يَكُونَ صَاحِبَ الْجَمَلِ الْأَحْمَرِ"، فَجَاءَ حَمْزَةُ فَقَالَ: هُوَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ وَهُوَ يَنْهَى عَنِ الْقِتَالِ وَيَقُولُ لَهُمْ: يَا قَوْمِ إِنِّي أَرَى قَوْمًا مُسْتَمِيتِينَ لَا تَصِلُونَ إِلَيْهِمْ وَفِيكُمْ خَيْرٌ يَا قَوْمِ اعْصِبُوهَا الْيَوْمَ بِرَأْسِي وَقُولُوا جَبُنَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي لَسْتُ بِأَجْبَنِكُمْ! قَالَ: فَسَمِعَ ذَلِكَ أَبُو جَهْلٍ؛ فَقَالَ: أَنْتَ تَقُولُ هَذَا وَاللَّهِ لَوْ غَيْرُكَ يَقُولُ هَذَا لَأَعْضَضْتُهُ، قَدْ مَلَأَتْ رِئَتُكَ جَوْفَكَ رُعْبًا! فَقَالَ عُتْبَةُ: إِيَّايَ تُعَيِّرُ يَا مُصَفِّرَ اسْتِهِ سَتَعْلَمُ الْيَوْمَ أَيُّنَا الْجَبَانُ. مسند أحمد (٩٤٨)، والمستدرك (٤٨٨٢) وصححه الحاكم والشيخ أحمد شاكر.

وتعجَّل أَبُو جَهْلٍ وبَعَثَ إِلَى عَامِرٍ الْحَضْرَمِيِّ- أَخِي عَمْرٍو الْحَضْرَمِيِّ الْمَقْتُولِ فِي سَرِيَّةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- فَقَالَ لَهُ: هَذَا حَلِيفُكَ-أَيْ عُتْبَةُ- يُرِيدُ أَنْ يَرْجِعَ بِالنَّاسِ، وَقَدْ رَأَيْتَ ثَأْرَكَ بِعَيْنِكَ، فَقُمْ فَانْشُدْ خُفْرَتَكَ وَمَقْتَلَ أَخِيكَ، فَقَامَ عَامِرٌ يَصْرُخُ: وَاعَمْرَاهُ، وَاعَمْرَاهُ، فَحَمِيَ الْقَوْمُ، وَحَقِبَ أَمْرُهُمْ، وَاسْتَوْسَقُوا عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الشَّرِّ، وَأَفْسَدَ عَلَى النَّاسِ الرَّأْيَ الَّذِي دَعَاهُمْ إِلَيْهِ عُتْبَةُ وَهَكَذَا تَغْلِبُ الطَّيْشُ عَلَى الْحِكْمَةِ. السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة (٧٧/٢).

توجيهات النبي صلى الله عليه وسلم قبل المعركة

عنْ أنس بن مالك-رضي الله عنه- قال: وَجَاءَ الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صلى الله عليه وسلم-: "لَا يَتَقَدَّمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى أَكُونَ أَنَا أُوذِنُهُ". صحيح مسلم (١٩٠١)، ومسند أحمد (١٢٤٢١) وهذا لفظ أحمد، ولفظ مسلم "حتى أكون أنا دونه" أي: قدامه متقدمًا في ذلك الشيء؛ لئلا يفوت شيء من المصالح التي لا تعلمونها. شرح النووي على مسلم (٤٥/١٣). وعليه فمعناهما واحد.

خطة القتال وكيفيته

ثم وضع النبي صلى الله عليه وسلم خطة القتال على خلاف المعهود عند العرب في ذلك الوقت؛ حيث أمرهم الرسول صلى الله عليه وسلم أن يكسروا هجمات المشركين؛ وهم مرابطون في مواقعهم؛ فعنْ حَمْزَةَ بْنِ أَبِي أُسَيْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ بَدْرٍ، حِينَ صَفَفْنَا لِقُرَيْشٍ وَصَفُّوا لَنَا: "إِذَا أَكْثَبُوكُمْ فَعَلَيْكُمْ بِالنَّبْلِ وَاسْتَبْقُوا نَبْلَكُمْ" البخاري (٢٩٠٠و٣٩٨٥).

قوله: "إذا أكثبوكم": أي: إذا قربوا منكم وأصله من الكثب وهو القرب يقول: إذا دنوا منكم فارموهم ولا ترموهم على بُعد. "واستبقوا نبلكم" "النبل": السهم؛ يعني: ارموهم بالنبل، ولكن لا ترموهم بجميع نبالكم، بل اتركوا بعض نبالكم، فإنكم لو رميتم بجميع نبالكم؛ فحينئذ بقيتم بلا نبل فغلبوا عليكم.

وقال ابن حجر: وفي رواية له "ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم" فظهر أن معنى الحديث الأمر بترك الرمي والقتال حتى يقربوا؛ لأنهم إذا رموهم على بعد قد لا تصل إليهم وتذهب في غير منفعة وإلى ذلك الإشارة بقوله واستبقوا نبلكم وعرف بقوله "ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم" أن المراد بالقرب المطلوب في الرمي قرب نسبي بحيث تنالهم السهام. اهـ. والمقصود: حافظوا على الذخيرة، ولا تقوموا بإهدار هذه السهام. المفاتيح (٤٠٤/٤)، ومعالم السنن (٢٧٨/٢)، وكشف المشكل (١٣٣/٢)، وفتح الباري (٩٢/٦).

وقال ابن رسلان: "ولا تسلوا السيوف" فيه النهي عن سل السيوف في غير وقت القتال، وتقدم النهي عن تعاطيه مسلولًا، وفي معناه والمشي به مسلولًا، وكذا إذا كان العدو بعيدًا لا يسل.

وهذا يظهر حسن التدبير العسكري، وذلك حينما أمرهم بالدفاع عن بعد برمي السهام، والاقتصاد في رميها، وسل السيوف عند تداخل الصفوف فحسب. شرح سنن أبي داود (٤٦٧/١١).

ولا شك أن هذا التكتيك النبوي يحتاج منا إلى وقفة؛ حتى نعرف صفة مهمة من صفات الجيش المنصور، فمن صفات الجيش المنصور: الإعداد الجيد والأخذ بكل أسباب النصر المادية، والعمل بكل ما هو متاح في اليد لتحقيق النصر، عملا بقوله تعالى: «وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ» (الأنفال:٦٠).

إشفاق ودعاء

ثُمَّ عَدَّلَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ الصُّفُوفَ وَرَجَعَ إِلَى الْعَرِيشِ؛ فَدَخَلَه وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ لَيْسَ مَعَهُ فِيهِ غَيْرُهُ، وَكَانَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَاقِفًا عَلَى بَابِ الْعَرِيشِ مُتَقَلِّدًا بِالسَّيْفِ وَمَعَهُ رِجَالٌ مِنَ الأَنْصَارِ، يَحْرُسُونَ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّم. السيرة لابن كثير (٤١١/٢).

وأَخْرَجَ الْبَزَّارُ فِي مُسْنَدِه بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ-رَضِيَ اللَّه عَنه- قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ أَشْجَعُ النَّاسِ؟ فَقَالُوا: أَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ: أَمَا إِنِّي مَا بَارَزَنِي أَحَدٌ إِلاَّ انْتَصَفْتُ مِنْهُ، وَلَكِنْ هُوَ أَبُو بَكْرٍ، إِنَّا جَعَلْنَا لِرَسُولِ اللَّه-صلى اللَّه عليه وسلم- عَرِيشًا، فَقُلْنَا مَنْ يَكُونُ مَعَ رَسُولِ اللَّه-صلى اللَّه عليه وسلم- يَهْوِي إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. فَوَاللَّهِ مَا دَنَا مِنَّا أَحَدٌ إِلاَّ أَبُو بَكْرٍ شَاهِرًا بِالسَّيْفِ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ اللَّه-صلى اللَّه عليه وسلم-، لا يَهْوِي إِلَيْهِ أَحَدٌ إِلاَّ أَهْوَى عَلَيْهِ. فَهَذَا أَشْجَعُ النَّاسِ... فَهَذِه خُصُوصِيَّةٌ لِلصِّدِّيقِ، حَيْثُ هُوَ مَعَ الرَّسُولِ فِي الْعَرِيشِ، كَمَا كَانَ مَعَهُ فِي الْغَارِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاه.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ فِي قُبَّةٍ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تُعْبَدْ بَعْدَ الْيَوْمِ"؛ فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِه، فَقَالَ: حَسْبُكَ يَا رَسُولَ اللَّه، فَقَدْ أَلْحَحْتَ عَلَى رَبِّكَ، وَهُوَ فِي الدِّرْعِ، فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ: «سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ» (القمر: ٤٦)، صحيح البخاري (٢٩١٥).

وعن ابن عَبَّاسٍ، يَقُولُ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلاً، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: "اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الإِسْلامِ لا تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ"، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّه، كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ» (الأنفال: ٩) صحيح مسلم (١٧٦٣).

وأخذت النبي سنة وهو في العريش ثم انتبه فقال: "أبشر يا أبا بكر، فقد أتاك نصر الله، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع"، حسنه الألباني في هامش فقه السيرة (٢٣٤)، وصدق الله حيث يقول: "إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ".

التوجيه المعنوي والتحريض على القتال

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صفوف المسلمين يحرضهم على القتال؛ كما في حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: فَدَنَا الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ"، قَالَ:- يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الأَنْصَارِيُّ:- يَا رَسُولَ اللَّه، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: بَخٍ بَخٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟» قَالَ: لا وَاللَّه يَا رَسُولَ اللَّه، إِلاَّ رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ: «فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا»، فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِه، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِه إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، قَالَ: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ. صحيح مسلم (١٩٠١).

وللحديث صلة، والحمد لله رب العالمين.

الحلقة 2

الرياض الندية في خصائص خير البرية

صاحب الشفاعة والمقام المحمود صلى الله عليه وسلم

إعداد **الشيخ: معاوية محمد هيكل**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فمنْ أعظم نعم الله عز وجل علينا وعلى الناس بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الذي قال الله تعالى عنه: «وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ» (الأنبياء: ١٠٧)، وقال سبحانه: «لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ» (التوبة: ١٢٨). قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره: "وقوله: «عزيزٌ عليه ما عنتُّمْ» أي: يعز عليه الشيء الذي يعنت أمته ويشق عليها. «حريصٌ عليكُمْ» أي: على هدايتكم ووصول النفع الدنيوي والأخروي إليكم". وقال السعدي رحمه الله: "«حريصٌ عليكُمْ» فيحب لكم الخير، ويسعى جهده في إيصاله إليكم، ويحرص على هدايتكم إلى الإيمان، ويكره لكم الشر، ويسعى جهده في تنفيركم عنه. «بالمؤمنين رءوفٌ رحيمٌ» أي: شديد الرأفة والرحمة بهم، أرحم بهم من والديهم".

والمتأمل في السيرة النبوية يجد صورًا كثيرة يظهر من خلالها مدى رحمة نبينا صلى الله عليه وسلم بأمته، وشفقته بها، وحرصه الشديد عليها، ومن أعظم هذه الصور شفاعته صلوات الله وسلامه عليه يوم القيامة لأمته. ويأتي هذا المقال بيانا لذلك وتوضيحا.

أولاً: المقصود بالمقام المحمود

الشفاعة العظمى مما اختصَّ الله بها نبينا محمدًا صلى الله عليه وسلم يوم القيامة من بين سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وهي أعظم الشفاعات التي تجري في ذلك اليوم، مَكرمة من الله سبحانه وتعالى وتشريفًا له، وهي المقام المحمود الذي وعده ربه كما بين ذلك في محكم التنزيل فقال تعالى: «وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا»

قال الطبري رحمه الله: وعسى من الله واجبة، وإنما وجه قول أهل العلم: عسى من الله واجبة؛ لعلم المؤمنين أن الله لا يدع أن يفعل بعباده ما أطمعهم فيه من الجزاء على أعمالهم والعوض على طاعتهم إياه ليس من صفته الغرور، ولا شك أنه قد أطمع من قال ذلك له في نفعه إذا هو تعاهده ولزمه، فإنه لزم المقول له ذلك وتعاهده ثم لم ينفعه، ولا سبب يحول بينه وبين نفعه إياه مع الإطماع الذي تقدم منه لصاحبه على تعاهده إياه ولزومه فإنه لصاحبه غار بما كان من إخلافه إياه فيما كان أطمعه فيه بقوله الذي قال له. وإذا كان ذلك كذلك، وكان غير جائز أن يكون جل ثناؤه من صفته الغرور لعباده صح ووجب أن كل ما أطمعهم فيه من طمع على طاعته، أو على فعل من الأفعال، أو أمر أو نهي أمرهم به، أو نهاهم عنه فإنه موف لهم به. وإنه منه كالعدة التي لا يخلف الوفاء بها. قالوا: عسى ولعل من الله واجبة. وتأويل الكلام أقم الصلاة المفروضة يا محمد في هذه الأوقات التي أمرتك بإقامتها فيها، ومن الليل فتهجد فرضًا فرضته عليك، لعل ربك أن يبعثك يوم القيامة مقامًا تقوم فيه محمودًا تحمده، وتُغبط فيه.

ثم اختلف أهل التأويل في معنى المقام المحمود، فقال أكثر أهل العلم: "ذلك هو المقام الذي يقومه صلى الله عليه وسلم يوم القيامة للشفاعة للناس ليريحهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم".

وقال السعدي رحمه الله في "تيسير الكريم الرحمن": المقام المحمود، وهو المقام الذي يحمده فيه الأولون والآخرون، مقام الشفاعة العظمى، حين يتشفع الخلائق بآدم، ثم بنوح، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى، وكلهم يعتذر ويتأخر عنها، حتى يستشفعوا بسيد ولد آدم، ليرحمهم الله من هول الموقف وكربه، فيشفع عند ربه فيشفِّعه، ويقيمه مقامًا يغبطه به الأولون والآخرون، وتكون له المنة على جميع الخلق.

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: "إنَّ النَّاسَ يَصيرونَ يومَ القيامة جُثًا، كلُّ أمَّة تتبعُ نبيَّها، يقولونَ: يا فلانُ اشفَعْ يا فلانُ اشفَعْ، حتَّى تنتهيَ الشَّفاعةُ إلى محمَّد، فذلكَ يومَ يبعثُه اللهُ المقامَ المحمودَ" (صحيح الجامع: ١٩٧٨).

قال ابن حجر رحمه الله: "وجاءت الأحاديث في إثبات الشفاعة المحمدية متواترة، ودل عليها قوله تعالى: «عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا» والجمهور على أن المراد الشفاعة. (فتح الباري: ١١/ ٣٦٨).

ثانيا: حديث الشفاعة العظمى:

فقد رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضِي الله عنه قال: أُتيَ رَسولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عليه وسلَّمَ يَوْمًا بلَحْم، فَرُفِعَ إلَيْه الذِّراعُ، وكانَتْ تُعْجِبُهُ فَنَهَسَ منها نَهْسَةً فقالَ: أنا سَيِّدُ النَّاس يَومَ القيامَة، وهلْ تَدْرُونَ بمَ ذاكَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ يَومَ القيامَة الأوَّلينَ والآخرينَ في صَعيد واحد، فيُسْمِعُهُمُ الدَّاعي، ويَنْفُذُهُمُ البَصَرُ، وتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الغَمِّ والكَرْبِ ما لا يُطيقُونَ، وما لا يَحْتَمِلُونَ، فيَقولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: ألا تَرَوْنَ

ما أنتُمْ فيه؟ ألا ترَوْنَ ما قدْ بلغكمْ؟ ألا تَنظُرون منْ يشفعُ لكمْ إلى ربِّكمْ؟ فيقولُ بعْضُ النّاس لبعْضٍ: ائتُوا آدمَ، فيأتُون آدمَ، فيقولون: يا آدمُ، أنْتَ أبو البشر، خلقكَ اللهُ بيده، ونفخَ فيكَ من رُوحه، وأمرَ الملائكةَ فسَجدُوا لكَ، اشْفعْ لنا إلى ربِّكَ، ألا ترى إلى ما نحْنُ فيه؟ ألا ترى إلى ما قدْ بلغنا؟ فيقولُ آدمُ: إنَّ ربِّي غضبَ اليومَ غضبًا لمْ يغْضبْ قبْلَهُ مثْلَهُ، ولنْ يغْضبَ بعْدهُ مثْلهُ، وإنَّه نهاني عنِ الشَّجرة فعصيْتُهُ نفْسي نفْسي، اذْهبُوا إلى غيري، اذْهبُوا إلى نُوحٍ، فيأْتُون نُوحًا، فيقولون: يا نُوحُ، أنْتَ أوَّلُ الرُّسُل إلى الأرْض، وسمَّاكَ اللهُ عبْدًا شكُورًا، اشْفعْ لنا إلى ربِّكَ، ألا ترى ما نحْنُ فيه؟ ألا ترى ما قدْ بلغنا؟ فيقولُ لهمْ: إنَّ ربِّي قدْ غضبَ اليومَ غضبًا لمْ يغْضبْ قبْلهُ مثْلهُ، ولنْ يغْضبَ بعْدهُ مثْلهُ، وإنَّه قدْ كانتْ لي دعْوةٌ دعوْتُ بها على قوْمي، نفْسي نفْسي، اذْهبُوا إلى إبْراهيمَ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فيأْتُون إبْراهيمَ، فيقولون: أنْتَ نبيُّ اللهِ وخليلُهُ منْ أهْل الأرْض، اشْفعْ لنا إلى ربِّكَ، ألا ترى إلى ما نحْنُ فيه؟ ألا ترى إلى ما قدْ بلغنا؟ فيقولُ لهمْ إبْراهيمُ: إنَّ ربِّي قدْ غضبَ اليومَ غضبًا لمْ يغْضبْ قبْلهُ مثْلهُ، ولا يغْضبُ بعْدهُ مثْلهُ، وذكر كذباته، نفْسي نفْسي، اذْهبُوا إلى غيري، اذْهبُوا إلى مُوسى، فيأْتُون مُوسى صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فيقولون: يا مُوسى، أنْتَ رسولُ الله فضَّلكَ اللهُ برسالاته، وبتكْليمه على النَّاس، اشْفعْ لنا إلى ربِّكَ، ألا ترى إلى ما نحْنُ فيه؟ ألا ترى ما قدْ بلغنا؟ فيقولُ لهمْ مُوسى صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: إنَّ ربِّي قدْ غضبَ اليومَ غضبًا لمْ يغْضبْ قبْلهُ مثْلهُ، ولنْ يغْضبَ بعْدهُ مثْلهُ، وإنِّي قتلْتُ نفْسًا لمْ أومرْ بقتْلها، نفْسي نفْسي، اذْهبُوا إلى عيسى صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فيأْتُون عيسى، فيقولون: يا عيسى أنْتَ رسولُ الله، وكلَّمْتَ النَّاسَ في المهْد، وكلمةٌ منْهُ ألْقاها إلى مرْيمَ، ورُوحٌ منْهُ، فاشْفعْ لنا إلى ربِّكَ، ألا ترى ما نحْنُ فيه؟ ألا ترى ما قدْ بلغنا؟ فيقولُ لهمْ عيسى صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: إنَّ ربِّي قدْ غضبَ اليومَ غضبًا لمْ يغْضبْ قبْلهُ مثْلهُ، ولنْ يغْضبَ بعْدهُ مثْلهُ، ولمْ يذْكرْ لهُ ذنْبًا، نفْسي نفْسي، اذْهبُوا إلى غيري، اذْهبُوا إلى مُحمَّدٍ، فيأْتُوني فيقولون: يا مُحمَّدُ، أنْتَ رسولُ اللهِ، وخاتمُ الأنْبياء، وغفرَ اللهُ لكَ ما تقدَّمَ منْ ذنْبكَ، وما تأخَّرَ، اشْفعْ لنا إلى ربِّكَ، ألا ترى ما نحْنُ فيه؟ ألا ترى ما قدْ بلغنا؟ فأنْطلقُ، فآتي تحْتَ العرْش، فأقعُ ساجدًا لربِّي، ثُمَّ يفْتحُ اللهُ عليَّ ويُلْهمُني منْ محامده، وحُسْن الثَّناء عليه شيْئًا لمْ يفْتحْهُ لأحدٍ قبْلي، ثُمَّ يُقالُ: يا مُحمَّدُ، ارْفعْ رأْسكَ، سلْ تُعْطهْ، اشْفعْ تُشفَّعْ، فأرْفعُ رأْسي، فأقُولُ: يا ربِّ، أُمَّتي أُمَّتي، فيُقالُ: يا مُحمَّدُ، أدْخل الجنَّةَ منْ أُمَّتكَ منْ لا حسابَ عليه من البابِ الأيْمن منْ أبْواب الجنَّة، وهُمْ شُركاءُ النَّاس فيما سوى ذلكَ من الأبْواب، والذي نفْسُ مُحمَّدٍ بيده، إنَّ ما بيْنَ المصْراعيْن منْ مصاريع الجنَّة لكما بيْنَ مكَّةَ وهجرٍ، أوْ كما بيْنَ مكَّةَ وبُصْرى. (صحيح مسلم: ١٩٤).

ثالثا: توجيهات مهمة للعلماء حول حديث الشفاعة:

كل الأحاديث الواردة في الشفاعة في الموقف في مبدئها استشفاع الناس بالأنبياء لفصل القضاء وإراحتهم من شدة وهول الموقف، ويحولهم كل نبي إلى آخر، وحتى يصلوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم ويطلبوا منه ذلك، فيسجد تحت العرش ويفتح الله عليه ويلهمه من محامد الرب وحسن الثناء عليه، ثم يقال له ارفع رأسك ويأذن الله له في الشفاعة، ويقبل منه ذلك، ولا شك أن أول ما يشفع فيه هو الأمر العظيم الذي من أجله سجد واستأذن ربه فيه، ولكن ما وقع في نهاية الروايات أنه يقول صلى الله عليه وسلم : يا رب أمتي، أمتي. قد أشكل على العلماء، فنذكر أقوال بعضهم وتوجيهاته لهذا الإشكال:

١-قال القاضي عياض: وجاء في

حديث أنس وحديث أبي هريرة ابتداء النبي صلى الله عليه وسلم بعد سجوده وحمده والإذن له في الشفاعة بقوله: أمتي، أمتي وقد جاء في حديث حذيفة... قال: فيأتون محمدًا صلى الله عليه وسلم فيقوم ويؤذن له وترسل الأمانة والرحم، فيقومان جنبتي الصراط يمينًا وشمالاً، فيمر أولهم كالبرق وساق الحديث. وبهذا يتصل الحديث؛ لأن هذه هي الشفاعة التي لجأ الناس إليه فيها، وهي الإراحة من الموقف والفصل بين العباد، ثم بعد ذلك حلت الشفاعة في أمته صلى الله عليه وسلم وفي المذنبين، وحلت الشفاعة للأنبياء والملائكة وغيرهم صلوات الله وسلامه عليهم، كما جاء في الأحاديث الأخرى.

وجاء في الأحاديث في الرؤية وحشر الناس اتباع كل أمة ما كانت تعبد، ثم تمييز المؤمنين من المنافقين، ثم حلول الشفاعة ووضع الصراط، فيحتمل أن الأمر باتباع الأمم ما كانت تعبد هو أول الفصل والإراحة من هول الموقف وهو أول المقام المحمود، وأن الشفاعة التي ذكر مقامهم، كما دلت عليه سياق الحديث، وأنها لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولغيره، كما نص عليه في الأحاديث، ثم ذكر بعدها الشفاعة فيمن دخل النار، وبهذا تجتمع متون الحديث وتترتب معانيها إن شاء الله تعالى".

٢- وقال القرطبي بعد أن ساق حديث الشفاعة: "هذه الشفاعة العامة التي خص بها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من بين سائر الأنبياء هي المرادة بقوله عليه الصلاة والسلام لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته واني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي. وهذه الشفاعة العامة لأهل الموقف إنما هي ليعجل حسابهم ويراحوا من هول الموقف وهي الخاصة به صلى الله عليه وسلم وقوله: أقول يا رب أمتي أمتي اهتمام بأمر أمته واظهار محبته فيهم وشفقته عليهم. وقوله: فيقال يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه، يدل على أنه شفع فيما طلب من تعجيل حساب أهل الموقف، فإنه لما أمر بإدخال من لا حساب عليه من أمته فقد شرع في حساب من عليه حساب من أمته وغيرهم، وكان طلب هذه الشفاعة من الناس بإلهام من الله تعالى لهم حتى يظهر في ذلك اليوم مقام نبيه صلى الله عليه وسلم المحمود الذي وعده، ولذلك قال كل نبي: لست لها، حتى انتهى الأمر إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقال: أنا لها.

٣- وقال ابن أبي العز: "والعجب كل العجب من إيراد الأئمة لهذا الحديث من أكثر طرقه لا يذكرون أمر الشفاعة الأولى في مأتى الرب سبحانه وتعالى لفصل القضاء، كما ورد في حديث الصور؛ فإنه المقصود في هذا المقام ومقتضى سياق أول الحديث فإن الناس يستشفعون إلى آدم فمن بعده من الأنبياء في أن يفصل بين الناس ويستريحوا من مقامهم، كما دلت عليه سياقاته من سائر طرقه، فإذا وصلوا إلى الجزاء إنما يذكرون الشفاعة في عصاة الأمة وإخراجهم من النار، وكان مقصود السلف في الاقتصار على هذا المقدار من الحديث هو الرد على الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة الذين أنكروا خروج أحد من النار بعد دخولها، فيذكرون هذا القدر من الحديث الذي فيه النص الصريح في الرد فيما ذهبوا إليه من البدعة المخالفة للأحاديث".

وفي الختام: نسأل الله تعالى أن يخفف عنّا وعن المسلمين شدة ذلك اليوم، وأن يظلنا فيه بظله، وأن يرزقنا شفاعة نبينا محمد صلَّى الله عليه وسلَّم، وأن يسقينا من حوضه، وأن يدخلنا الجنة في زمرته.

آمين، آمين، آمين.

الإسراء والمعراج

بين شُبَه المنكرين وإيمان الموحدين

إعداد د. محمد عبد العزيز

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ» (الأعراف: ٤٣).

وأصلي وأسلم على خاتم الأنبياء وإمام المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد: فإن من المعجزات الحسية التي وقعت للرسول صلى الله عليه وسلم معجزتي: الإسراء والمعراج.

والمراد بالإسراء: السير ليلاً بالنبي صلى الله عليه وسلم يقظة من مكة إلى بيت المقدس في فلسطين، قال الله تعالى: «سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» (الإسراء: ١).

والمعراج: على وزن مفعال: الآلة التي يعرج بها، وهي المصعد، والعروج – الصعود – بالرسول صلى الله عليه وسلم حتى بلغ السماء، ثم حيث شاء الله جل وعلا حتى سمع صريف أقلام الملائكة، وفرضت عليه وعلى أمته الصلوات الخمس في السماوات العلا ثم عاد لبيته قبل الفجر.

والمعراج ثابت بالكتاب والسنة:

– فمن الكتاب قوله تعالى: «وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ① مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ② وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ» إلى قوله: «لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ» (النجم

من ١ إلى ١٨).

ــ وأما السنة فسيأتي ذكرها بعد قليل.

ورحلتا الإسراء والمعراج معجزتان شاهدتان على صدق النبي صلى الله عليه وسلم، وكرامته عند ربه، وفيهما تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم في مصابه بوفاة أمنا أم المؤمنين خديجة بنت خويلد -رضي الله عنها- ووفاة عمه أبي طالب، وتثبيت لفؤاده بما رأى من آيات ربه الكبرى، وفيهما دلالة على قدرة الله الباهرة، وفي المعراج دليل على علو الله سبحانه على خلقه ومباينته لهم، وقد حدثتا قبل الهجرة بزمن.

والإسراء والمعراج من الأمور التي ثبتت بطريق الشرع، قال عبد الغني المقدسي (المتوفى: ٦٠٠هـ) في عقيدته (ص ٨٠): «وأجمع القائلون بالأخبار والمؤمنون بالآثار أن رسول الله صلي الله عليه وسلم أسري به إلى فوق سبع سماوات ثم إلى سدرة المنتهى.

أسرى به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى -مسجد بيت المقدس- ثم عرج به إلى السماء بجسده وروحه جميعًا، ثم عاد من ليلته إلى مكة قبل الصبح».

وقد تواتر نقل خبر معجزتي الإسراء والمعراج في سنة النبي صلى الله عليه وسلم فقد جاءت من طرق عن ستة وعشرين نفسًا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيحين، والجوامع، والسنن، والمسانيد، والمستخرجات، والمعاجم، والمستدركات، والمشايخات، والأمالي وغيرها من كتب السنة.

ونقلت بأسانيد صحيحة، وحسنة، وقريبة منهما، وضعيفة لا تقوم بها حجة.

ومن الصحابة من ساقها بطولها، ومنهم من اختصر الكلام فيها.

فهذه الأخبار بمجموع ما جاء فيها مما تواتر العلم به، قال الحافظ ابن كثير في " تفسير القرآن العظيم " في تفسير سورة الإسراء بعد أن ساق الأحاديث الواردة في الإسراء والمعراج وتكلم عنها في خمس وأربعين صفحة (٥ / ٤٥): «فائدة: قال الحافظ أبو الخطاب عمر بن دحية في كتابه: " التنوير في مولد السراج المنير "، وقد ذكر حديث الإسراء من طريق أنس وتكلم عليه فأجاد، ثم قال:

وقد تواترت الروايات في حديث الإسراء عن:

عمر بن الخطاب، وعلي، وابن مسعود، وأبي ذر، ومالك بن صعصعة، وأبي هريرة، وأبي سعيد، وابن عباس، وشداد بن أوس، وأبَيِّ بن كعب، وعبد الرحمن بن قرط، وأبي حيّة وأبي ليلى الأنصاريين، وعبد الله بن عمر، وجابر، وحذيفة، وبريدة، وأبي أيوب، وأبي أمامة، وسمرة بن جندب، وأبي الحمراء، وصهيب الرومي، وأم هانئ، وعائشة وأسماء ابنتي أبي بكر الصديق - رضي الله عنهم أجمعين -، منهم:

من ساقه بطوله.

ومنهم من اختصره على ما وقع في المسانيد.

وان لم تكن رواية بعضهم على شرط الصحة، فحديث الإسراء أجمع عليه المسلمون وأعرض عنه الزنادقة والملحدون «يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ» (الصف: ٨).

ومعجزتا الإسراء والمعراج فيهما من المعجزات والفوائد والأحكام والآداب ما هو جدير بالإذاعة حقيق بالذكر، لكن هذا المقال لا يتسع للكلام عليهما، فقد خصص للرد على بعض شبهات المنكرين لهما.

والحقيقة أن الرد والتشكيك في معجزتي الإسراء والمعراج وانكارهما قديم وأول من أنكرهما كفار قريش حين حدثهم النبي صلى الله عليه وسلم بخبرهما فكان منهم المصفق، ومنهم واضع يده على رأسه مستعجبًا للكذب، حتى طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم البينة على وقوع

الإسراء، واستغربوا أنهم يضربون أكباد الإبل لبيت المقدس شهرًا ذهابًا وآخر إيابًا وهو يخبرهم أنه ذهب إليه وصلى فيه بالأنبياء، ثم عرج به إلى السماء، ثم عاد من ليلته، حتى ارتد ناس ممن كانوا آمنوا به وصدقوه، وسعوا بذلك إلى أبي بكر ــ رضي الله عنه ــ فقالوا: «هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس؟!

قال: أو قال ذلك؟

قالوا: نعم.

قال: لئن كان قال ذلك لقد صدق.

قالوا: أو تصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟!

قال: نعم، إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة».

أخرجه الحاكم في المستدرك (٤٤٠٧)، وقال الذهبي في التلخيص: صحيح.

ثم طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يصف لهم بيت المقدس وهم يعتقدون عجزه عن ذلك وسألوه عن أشياء فقد رآه بعضهم وعاينه، وهو به خبير، قال جابر بن عبد الله ــ رضي الله عنهما ــ قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «لما كذبتني قريش [وفي رواية: حين أسري بي إلى بيت المقدس] قمت في الحجر فجلى الله لي بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه» أخرجه البخاري (٤٧١٠).

وجمهور الشبهات يرجع إلى أمور:

الأول: رد الوحي والتكذيب بالرسالة، فيكذب بهاتين المعجزتين سلمًا لرد الرسالة.

الثاني: أن المعراج لم يذكر في الكتاب، وانما جاء في السنة، وهذا يرجع إلى رد السنة وعدم الاحتجاج بها.

الثالث: الاستبعاد العقلي لوقوع ذلك.

وقد تبع هذين الصنفين ــ الثاني، والثالث ــ من المعاصرين: أبو رية في كتابه: "أضواء على السنة المحمدية" (ص: ١٢٣)، ود. أحمد شلبي في الجزء الثالث من كتابه: "المكتبة الإسلامية المصورة لكل الأعمار"، والكاتب د. يوسف زيدان، والمذيع إبراهيم عيسى ... ومن لف لفيفهم.

الرابع: الذين يسلمون بحجية السنة، ويسلمون بورود المعجزتين في السنة لكن يدعون ضعف الحديث واضطرابه وعدم الاحتجاج به.

أما الصنف الأول وهم المكذبون بالوحي الرادون له فهم أحد ثلاثة أصناف:

ــ إما ملاحدة لا يؤمنون بوجود إله للكون ولا بعث ولا نشور ...

ــ وإما وثنيون يعبدون من دون الله آلهة أخرى.

ــ وإما أهل كتاب كاليهود والنصارى.

أما الملاحدة فليس كلامنا معهم، وانما الكلام معهم يكون في إثبات وجود الخالق وصحة الأديان.

وأما الوثنيون فكلامنا معهم في بطلان عبادة الأوثان.

وأما أهل الكتاب فيقال لهم: إنكم تؤمنون بحدوث المعجزات للأنبياء والمرسلين، بل ومن المعجزات الشبيهة بالمعراج عندكم صعود إيلياء إلى السماء، ففي الكتاب المقدس (الملوك الثاني ٢: ١ - ١١): «وعندما أزمع الرب أن ينقل إيليا في العاصفة إلى السماء، ذهب إيليا وأليشع من الجلجال ...

وفيما هما يسيران ويتجاذبان أطراف الحديث، فصلت بينهما مركبة من نار تجرها خيول نارية، نقلت إيليا في العاصفة إلى السماء».

فالكلام معهم في إثبات نبوة النبي صلى الله عليه وسلم وثبوت الرسالة.

أما الصنف الثاني: وهم الرادون للسنة، فيقال لهم دل الكتاب على حجية السنة ولا ريب فمن ذلك:

قوله سبحانه: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ» (محمد: ٣٣).

وقوله تعالى: «مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ

ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا » (النساء:٨٠).

وقوله: « وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ » (لحشر: ٧).

وقوله تعالى: « وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا » (الأحزاب:٣٦).

وقوله سبحانه: « فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا » (النساء:٦٥).

والكلام مع هؤلاء يطول فيكتفى بما سبق منه.

أما الصنف الثالث: أصحاب الاستبعاد العقلي لوقوع ذلك:

فيقال لهم:

أولاً: أما الإمكان العقلي لوقوع الإسراء والمعراج فمحقق وقدرة الله تعالى لا تقاس على قدرة مخلوقاته.

ثانيًا: كثير من مخلوقات الله تعالى قد خلق الله فيها قدرات متفاوته كالملائكة والجن والريح ونحوها فمن قدرات الجن ما حكاه الله في قدرة الجن على نقل عرش بلقيس من اليمن إلى سليمان عليه السلام في الشام في أقل من طرفة عين، قال تعالى: « قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُ » (النمل: ٤٠)، وهذا من خرق العادة لمخلوق ضعيف.

فما الذي ينكر في إسراء النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس وعروجه إلى السماء ثم عوده في ليلة مع إقدار الله له.

ثالثًا: أمكن للإنسان الآن مع قدراته المحدودة صناعة الطائرات، والأقمار الصناعية، والمركبات الفضائية، والغواصات التي توفر الوقت والجهد وتمكن الإنسان من اصطحاب الأكسجين الذي يمكنه من العيش في الغواصات تحت الماء أو في الفضاء لأيام فما الذي ينكر من معجزتي الإسراء والمعراج مع هذا الإمكان العقلي؟!

أما الصنف الرابع: الذين يسلمون بحجية السنة، ويسلمون بورود المعجزتين في السنة لكن يدعون ضعف الحديث واضطرابه وعدم الاحتجاج به.

فيقال لهم: لا ريب عند أهل الفن أن الوارد في الإسراء منه ما هو مقبول سواء كان صحيحًا أو حسنًا، ومنه الضعيف الساقط فيقبل الصحيح ويرد الضعيف، ولا يرد الصحيح بردنا للضعيف، وقد تواتر الخبر من طرقه كما سبق.

قال ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم مبينًا ذلك (ص ٤٣٨): «وفيه ما هو ضعيف، وفيه ما هو من الموضوعات المختلقات.

مثل: ما يرويه بعضهم فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له جبرائيل: هذا قبر أبيك إبراهيم انزل فصل فيه.

وهذا بيت لحم مولد أخيك عيسى انزل فصل فيه.

وأعجب من ذلك أنه قد روي فيه أنه قيل له في المدينة: انزل فصل هاهنا قبل أن يبني مسجده، وانما كان المكان مقبرة المشركين، والنبي صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة إنما نزل هناك لما بركت ناقته هناك.

فهذا ونحوه من الكذب المختلق باتفاق أهل المعرفة، وبيت لحم كنيسة من كنائس النصارى ليس في إتيانها فضيلة عند المسلمين».

هذا ما يسره الله في هذه العجالة فإن كان صوابًا فالحمد لله وإن كانت الأخرى فأستغفر الله.

الاستقامة حد فاصل بين الحرية وإشاعة الفواحش

إعداد
د. عبد الوارث عثمان
أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد،

فإن بعض من ينتسبون إلى الإسلام يطعنون في أحكامه ومصادره ليل نهار في حملات ممنهجة، وموجات ممولة، وتيارات مدفوعة دفعًا عاصفًا لتكشف عما يدور في حنايا نفوسهم من العداء القديم والحقد الدفين.

ويتهكمون على رجالاته حملة علومه وأنواره وهداياته، الذين بلغوا منزلة التقدير والاحترام في نفوس المسلمين عبر القرون من عمر أمة الإسلام، فترى هذه الفئة تنتشي فرحًا كلما رأت أو سمعت شيئًا يخالف أحكامه الآمرة باجتناب الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ويقفون إجلالاً وتعظيمًا للفاعلين على ما اقترفوه من مخالفات تعد جرائم دينية وأخلاقية يندى لها الجبين في مجتمعاتنا الإسلامية والعربية. كل ذلك يفعلونه باسم "الحرية" و"التنوير" و"الحداثة" و"التجديد" وهي شعارات زائفة يستخدمونها لخداع الناس ممن لم يتلقوا إلا النذر القليل من معارف رسالة الإسلام الخالدة وشريعته المحكمة الحكيمة.

ويدرك خطر هؤلاء كل واعٍ مدرك لتاريخه وواقعه، حيث لا يخفى على عاقل تأثير هذه الشطحات الفكرية والثقافية التي تقدم للمجتمع على أنها "حرية الإبداع" الذي لا يقيم بمعيار الأخلاق ولا بمعيار الدين، فلا حدود ولا موانع ولا قيود، وإنما الإبداع يقتضي الحرية المطلقة في التعبير والتصرف والتطبيق. وهي أضلولة خبيثة وأكذوبة ماكرة نقلوها عن الدول الغربية، ولم ينقلوا معها علوم الغرب الصناعية والعلمية بل ما اختاروه هو هذا الجانب الممقوت الذي يعاني منه الغرب في مجتمعاته المعاصرة حتى

إنهم يخرجون منه إلى الإسلام فيدخلون فيه أفواجًا لم يسبق لها مثيل في عصرنا الحديث حتى حذر رجال الدين في فرنسا من المد الإسلامي في أوروبا، وطالبوا من حكامهم وقف هذا المد الذي سيحول أوروبا كلها مسلمة في بضع سنين.

ومع ذلك فإن دعاة العلمانية في بلادنا المسلمة يصورون الإسلام على أنه الوحش المخيف، ويعكفون على محاربته وإزالة ما يتعلق به من آداب وأحكام وأخلاق تأصلت داخل أعماق المجتمعات الإسلامية. يقومون بذلك الفعل الشنيع المستبشع في إصرار عجيب وتحد مريب وتوحش مخيف ووقاحة فاحشة وبذاءة لسان لا اعتبارات فيها لأحد. إنهم بلاء الزمان والمكان. وفتن الدين والدنيا. والدول إذا أرادت رفع عمادها وبناء صروحها العالية المنيفة والاهتمام بمواطنيها فعليها بالحفاظ على الحد الفاصل بين نشر الفواحش والإباحية والشذوذ وكلها معاول هدم وتدمير للمجتمعات كافة، وبين "حرية التعبير والتفكير" التي أوضح القرآن الكريم حدودها ووضع شروطها، وبين النبي صلى الله عليه وسلم معالمها وكيفية ممارستها عمليًا وواقعيًا.

وقد وضع القرآن قاعدة القواعد التي تكفل حرية الرأي، وكيفية التفكير والتعبير وتضمن سلامة الأفعال والأقوال والتصرفات من الشطط الفكري والجموح العقلي والمجون التعبيري المؤدي إلى أذية الغير وإلحاق الضرر به.

لقد جاء الإسلام برسالة خاتمة، نقلت العالم من الظلمات إلى النور، ومن الغي إلى الرشاد، ومن الضلالة إلى الهدى، ومن الانغماس في الرذائل إلى التحلي بالفضائل، ومن سطوة الأنانية إلى ترسيخ الإيثار، ومن انحراف السلوك إلى الاستقامة في الأخلاق.

جاء الإسلام والنفس الإنسانية محور اهتمامه يعتمد في إصلاحه العام على تهذيبها قبل كل شيء، فهو يكرس جهودًا ضخمة للتغلغل في أعماقها، وغرس تعاليمه في جوهرها حتى تصير جزءًا منها. فالنفوس إذا لم تصلح، ولم يستقم أمرها أظلمت الآفاق، وسادت الفتن حاضر الناس ومستقبلهم وعم الفساد وانتشر البلاء، ولذلك يقول الله تعالى: "إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ" (الرعد: ١١). ويقول جل وعلا معللاً هلاك الأمم الفاسدة: "كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ" (الأنفال: ٥٢- ٥٣).

لذا نجد أن الإسلام اهتم اهتمامًا كبيرًا بدعوة المسلم إلى الاستقامة. وبلغ من اهتمام الإسلام بدعوة المسلم إلى الاستقامة، والى الالتزام بها والثبات عليها، إن ورد ذكر الاستقامة في القرآن الكريم فيما يقرب من خمسين آية. وقد عرف كثير من العلماء الاستقامة، فقالوا: الاستقامة هي سلوك الصراط المستقيم، وهو الدين القويم من غير تعويج عنه يمنة ولا يسرة، ويشمل ذلك فعل الطاعات كلها الظاهرة والباطنة، وترك المنهيات كلها كذلك. وقال ابن حجر رحمه الله: "الاستقامة كناية عن التمسك بأمر الله تعالى فعلاً وتركًا".

ويقول الجرجاني: "الاستقامة هي: كون الخط بحيث تنطبق أجزاؤه المفروضة بعضها على بعض على جميع الأوضاع، وفي اصطلاح أهل العلم: هي الوفاء بالعهود كلها، وملازمة الطريق المستقيم برعاية حد التوسط في كل الأمور في الطعام والشراب واللباس، وفي كل أمر ديني ودنيوي، وذلك هو الصراط المستقيم".

وعرف بعضهم الاستقامة بقوله: "أن

يجمع بين أداء الطاعة واجتناب المعاصي". وقيل: الاستقامة ضد الاعوجاج، وهي مرور العبد في طريق العبودية بإرشاد الشرع والعقل.

قال ابن القيم رحمه الله:" الاستقامة هي لزوم المنهج القويم".

قال تعالى:"إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ" (فصلت: ٣٠). وقال تعالى: "إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ⑬ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ" (الأحقاف ١٣: ١٤).

وقال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: "فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ" (هود: ١١٢).

فبين أن الاستقامة بعدم الطغيان، وهو مجاوزة الحدود، وقال جل وعلا: "قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ" (فصلت: ٦).

والمقصود من العبد الاستقامة وهي السداد، فإن لم يقدر عليها فالمقاربة؛ وعند مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صل الله عليه وسلم قال: "سددوا وقاربوا واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل". فجمع في هذا الحديث مقامات الدين كلها.

فأمر بالاستقامة وهي السداد، والإصابة في النيات والأقوال، وأخبر في حديث ثوبان أنهم لا يطيقونها فنقلهم إلى المقاربة، وهي أن يقربوا من الاستقامة بحسب طاقتهم، كالذي يرمي إلى الغرض، وإن لم يصبه يقاربه.. ومع هذا فقد أخبرهم أن الاستقامة والمقاربة لا تنجي يوم القيامة، فلا يركن أحد إلى عمله ولا يرى أن نجاته به، بل إنما نجاته برحمة الله وغفرانه وفضله، فالاستقامة كلمة جامعة آخذة بمجامع الدين، وهي القيام بين يدي الله تعالى على حقيقة الصدق والوفاء بالعهد. والاستقامة تتعلق بالأقوال والأفعال والأحوال والنيات، فالاستقامة فيها وقوعها لله وبالله وعلى أمر الله. وأورد الماوردي رحمه الله تعالى خمسة أوجه في قوله تعالى: "ثم استقاموا "من قوله تعالى: "إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ" (فصلت: ٣٠):

أحدها: ثم استقاموا على أن الله ربهم وحده، وهو قول أبي بكر رضي الله عنه ومجاهد.

الثاني: استقاموا على طاعته وأداء فرائضه، قاله ابن عباس والحسن وقتادة.

الثالث: على إخلاص الدين والعمل إلى الموت، قاله أبو العالية والسدي. الرابع: ثم استقاموا في أفعالهم كما استقاموا في أقوالهم. الخامس: ثم استقاموا سرًا كما استقاموا جهرًا. قال: "ويحتمل سادسًا: أن الاستقامة أن يجمع بين فعل الطاعات واجتناب المعاصي؛ لأن التكليف يشتغل على أمر بطاعة يبعث على الرغبة، ونهى عن معصية يدعو إلى الرهبة".

وقال ابن رجب رحمه الله: "أصل الاستقامة استقامة القلب على التوحيد، وقد فسر أبو بكر رضي الله عنه الاستقامة في قوله تعالى: "إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا": بأنهم لم يلتفتوا إلى غيره، فمتى استقام القلب على معرفة الله، وعلى خشيته واجلاله ومهابته ومحبته وإرادته ورجائه ودعائه والتوكل عليه والإعراض عما سواه، استقامت الجوار كلها على طاعته، فإن القلب هو ملك الأعضاء، وهي جنوده، فإذا استقام الملك استقامت جنوده ورعاياه، وأعظم ما يراعى استقامته بعد القلب من الجوارح اللسان، فإنه ترجمان القلب والمعبر عنه".

وقال ابن القيم رحمه الله: "ومن هدي في هذه الدار إلى صراط الله المستقيم الذي أرسل به رسله وأنزل به كتبه، هدي هناك إلى الصراط المستقيم الموصل إلى جنته دار ثوابه، وعلى قدر ثبوت قدم العبد على هذا الصراط الذي نصبه الله لعباده

في هذه الدار، يكون ثبوت قدمه على الصراط المنصوب على متن جهنم، وعلى قدر سيره على هذا الصراط يكون سيره على ذاك الصراط، ولينظر العبد الشبهات والشهوات التي تعوقه عن سيره على هذا الصراط المستقيم. فإنها الكلاليب التي بجنبتي ذاك الصراط تخطفه وتعوقه عن المرور عليه، فإن كثرت هنا وقويت فكذلك هي هناك: "وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ" (فصلت: ٤٦).

عن النواس بن سمعان رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " ضرَبَ الله مَثلاً صراطًا مُستقيمًا، وعلى جَنَبَتَي الصِّراط سُوران، فيهما أبوابٌ مُفتَّحةٌ، وعلى الأبواب سُتورٌ مُرخاةٌ، وعلى باب الصِّراط داعٍ يقولُ: أيُّها النَّاسُ، ادخُلوا الصِّراطَ جَميعًا، ولا تتعرَّجوا، وداعٍ يَدْعو من فوقِ الصِّراط، فإذا أرادَ يَفتَحُ شيئًا من تلك الأبواب، قال: وَيحكَ لا تفتَحْه؛ فإنَّكَ إنْ تَفتَحْه تَلِجْه، والصِّراطُ الإسلامُ، والسُّوران: حُدودُ الله، والأبوابُ المُفتَّحةُ: مَحارمُ الله، وذلك الدَّاعي على رأس الصِّراط: كتابُ الله، والدَّاعي من فوقِ الصِّراط: واعظُ الله في قلب كل مُسلم" (رواه أحمد في مسنده). وفي هذه الآيَة الكريمة: "فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ" (هود ١١٢).

نجد أن الله جل شأنه أمر رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم وأتباعه بالتزام الصراط المستقيم. وعندما نقرأ الآيات السابقة -على هذه الآية الكريمة- نجد أنها قد قصت علينا الكثير من أخبار السابقين، وبينت مصير السعداء الذين صدقوا رسلهم فآمنوا برسالاتهم، ومصير الأشقياء الذين كذبوا رسلهم وكفروا برسالاتهم، وأن عبادة المشركين لأصنامهم إنما هي تقليد لما كان يعبد آباؤهم من قبل، وسينال هؤلاء نصيبهم وحظهم من عذاب الآخرة كاملاً بدون إنقاص منه. بعدها أمر الله عز وجل رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، ومن آمن بدعوته واتبع هداه بالتزام الصراط المستقيم، والثبات والدوام على الاستقامة؛ لأن ذلك هو طريق الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة كما نهاهم وحذرهم أن يتجاوزوا حدود الاعتدال في كل الأقوال والأعمال؛ لأن الله -عظمت قدرته- مطلع على أحوالكم، عليم بظواهرها وبواطنها وسيجزيكم يوم القيامة عليها بما تستحقون من ثواب أو عقاب.

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية أشد من هذه الآية ولا أشق. وفي صحيح مسلم عن سفيان بن عبدالله الثقفي رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدًا بعدك. قال: " قل آمنت بالله ثم استقم".

إن الاستقامة ثمرة من ثمرات الإيمان بالله وهي حصاد غرسه في القلب ولا يسدد المسلم فيها إلا بقوة إيمانه وصدقه فيه، وهي حقيقة شرعية ونفسية واقعية لا بد من وضعها في الاعتبار عند تناول قضايا الأمة الإسلامية المختلفة في العصر الحديث، ولا يمكن التغاضي عنها، فانعدام الاستقامة سببه ضعف الإيمان وفقدان الاستقامة في المجتمع المسلم يؤدي إلى الضياع والانحلال الأخلاقي والتخلف الإنساني.

ولكن يبدو أن حضارة الاجترار الكلامي التي انحدرت إلى المسلمين من الجاهلية، ومن روافد غربية وشرقية، كانت لا تزال قابضة على أعناق بعض المسيرة، فأهدرنا وعينا عن هذا الهتاف القرآني الجليل ومارسنا -ولا نزال للأسف- غباء الضياع في أبد الحلم والشقشقة اللسانية، بينما يشكو واقعنا المسلم من ضمور الرؤى، وضمور الإنجاز في كل اتجاه.

والله المستعان.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

تعدد فضائل وفوائد القرآن الكريم

يقول الله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ)

(يونس: ٥٧).

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر شعبان

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رَسولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم يَصومُ حتى نقول: لا يفطِرُ، ويُفطِرُ حتى نقول: لا يصومُ، وما رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم استكمَلَ صيامَ شهرٍ قطُّ إلا رمضان، وما رأيتُه في شهرٍ أكثرَ منه صيامًا في شعبان" (صحيح مسلم ١١٥٦).

من أقوال السلف

عن مالك بن أنس قال: ما قلَّت الآثار في قوم إلا ظهرت فيهم الأهواء، ولا قلَّت العلماء إلا ظهر في الناس الجفاء. (ذم الكلام للهروي).

من أخبار البخلاء

قال بعض البخلاء لغلامه: هات الطعام وأغلق الباب. فقال: يا مولاي: هذا خطأ، إنما يقال: أغلق الباب وهات الطعام. فقال له: أنت حر لوجه الله؛ لمعرفتك بالحزم. (جمع الجواهر).

من دلائل نبوة النبي صلى الله عليه وسلم

حفظ الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنَّ رَسول الله صلى الله عليه وسلم كان يَنْقُلُ معهُمُ الحجارةَ للكَعْبة وعليه إزارُهُ. فقال له العَبَّاسُ عمُّهُ: يا ابْنَ أخي، لو حللْتَ إزارَكَ فجعلْتَه على منْكبَيْكَ دُونَ الحجارة. قال: فحلَّهُ فجعَلَهُ على منْكبيْه، فسقط مغشيًا عليه. فما رئي بعْدَ ذلك عُرْيانًا صلى الله عليه وسلم. (صحيح البخاري ٣٦٤)

إعداد : علاء خضر

خُلق حَسَن فالزمه

قال معاوية: «عليكم بالحلم والاحتمال حتّى تمكنكم الفرصة، فإذا أمكنتكم فعليكم بالصَفح والإفضال»

(الإحياء للغزالي).

من فضائل الصحابة

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنِّي لا أدري ما قَدرُ بقائي فيكُم؛ فاقتَدوا باللَّذَينِ من بعدي، وأشارَ إلى أبي بكرٍ وعمرَ.

(صحيح ابن ماجه: ٨٠).

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

البدلاء أربعون رجلاً وأربعون امرأة، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً، وكلما ماتت امرأة أبدل الله مكانها. قال ابن القيم معدداً الأحاديث الموضوعة: "ومن ذلك: أحاديث الأبدال والأقطاب والأغواث والنقباء والنجباء والأوتاد، كلها باطلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم". (المنار المنيف).

خُلق سيئ فاحذره

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنّا أصحاب محمّد نتحدّث أنّ التّبذير: النّفقة في غير حقّ. (تفسير الطبري).

من دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو: "اللهمّ احفَظني بالإسلامِ قائمًا، واحفَظني بالإسلام قاعدًا، واحفَظني بالإسلام راقدًا، ولا تُشمِت بي عدُوًا حاسدًا، اللهمّ إني أسألُك من كلِّ خيرٍ خزائنُهُ بيدِك، وأعوذُ بك من كلِّ شرٍّ خزائنُهُ بيدِك"

(السلسلة الصحيحة ١٥٤٠).

حجاب المرأة المسلمة

إعداد د. متولي البراجيلي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير المرسلين، وبعد:

فنستكمل الحديث عن أثر قرائن السياق على أدلة الحجاب، وقد وصلت إلى خاتمة البحث، وبدأت في تلخيص ما توصلت إليه فبدأت بأدلة القرآن، ثم بأدلة السنة، ووصلت فيها إلى الدليل السابع عشر.

الحديث السابع عشر:

١٧- حديث عائشة رضي الله عنها قالت: إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي الصبح فتنصرف النساء متلفعات بمروطهن ما يُعرفن من الغلس (متفق عليه).

وفي رواية: "ثم يرجعن إلى بيوتهن ما يعرفهن أحد" (صحيح البخاري). وفي رواية: "لا يعرف بعضهن بعضًا" (صحيح البخاري)، وفي رواية: "وما يعرفن من تغليس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة" (صحيح مسلم). وفي رواية: لقد رأيتنا نصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر في مروطنا، وننصرف وما يعرف بعضنا وجوه بعض (مسند أبي يعلى ح ٤٤٩٣، صحح إسناده حسين سليم أسد، والألباني في الصحيحة ح ٣٣٢). (الغلس: هو وقت اختلاط ضوء الصبح بظلمة الليل).

الاستدلال من الحديث: ما يُعرفن من الغلس: هل كن كاشفات الوجوه، وتسترن بظلمة آخر الليل، أم كن مغطيات الوجوه، وإن كانت رواية: وما يعرف بعضنا وجوه بعض، ترجح أنهن كن كاشفات الوجوه، ولم يعرف بعضهن بعضًا من الظلام.

الدليل في الحديث ليس قطعيًا إنما هو ظني، يحتمل كل ما ذهب إليه الفريقان.

١٨- حديث فاطمة بنت قيس

عن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها قالت: إنَّ أبا عمرو بن حفص طلقها ألبتة وهو غائب... فجاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له، فقال ليس لك عليه نفقة، وأمرها أن تعتد في بيت أم شريك، ثم قال: تلك امرأة يغشاها أصحابي، اعتدِّي عند ابن أم مكتوم، فإنه رجل أعمى تضعين ثيابك عنده. (صحيح مسلم)، وفي رواية: فإنك إذا وضعت خمارك لم يرك. وفي رواية: فإني أكره أن يسقط عنك خمارك أو ينكشف الثوب عن ساقيك.

الاستدلال من الحديث: استدل به من قال بجواز كشف الوجه باعتبار أن النبي صلى الله عليه وسلم أقرها على أن يراها الرجال بخمارها فقط. وهذا فيه نظر؛ لأن قول النبي صلى الله عليه وسلم هو من باب التنبيه على بعض ما لا يجوز للمرأة إظهاره، بقرينة رواية: أو ينكشف الثوب عن ساقك. وليس هو من قبيل ما يجوز للمرأة إظهاره أو عدم إظهاره.

١٩- حديث أبي سلمة

وفيه أن سبيعة الأسلمية رضي الله عنها وضعت حملها بعد وفاة زوجها بنصف شهر، فلما تعلت من نفاسها تجملت للخُطَّاب، فدخل

عليها أبو السنابل بن بعكك رضي الله عنه، فقال لها: ما لي أراك متجملة؟، وقد اكتحلت واختضبت وتهيأت لعلك ترجين النكاح، وكان أبو السنابل قد تقدم لخطبتها فرفضته (صحيح البخاري ومسلم وغيرهم).

الاستدلال من الحديث: تجملت للخطاب: ليس فيه صراحة أنها كانت كاشفة عن وجهها، فالتجمل يكون في الملابس والهيئة. واكتحلت: لا يدل على كشف الوجه، وإنما قد يظهر الكحل في عينيها وهي منتقبة، واختضبت: الخضاب نعم في اليدين، فهي كانت مكشوفة اليدين، لكن المرأة المنتقبة قد تتساهل أحيانًا في كشف يديها.

٢٠- حديث عائشة رضي الله عنها

قالت عائشة رضي الله عنها: أومت امرأة من وراء ستر بيدها كتاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبض النبي صلى الله عليه يده، فقال: ما أدري أيد رجل أم يد امرأة. قالت: بل يد امرأة. قال: لو كنت امرأة لغيرت أظفارك، يعني بالحناء (سنن أبي داود وغيره).

الاستدلال من الحديث:

١- الحديث في سنده مقال، فهو ضعيف، وحسنه الألباني بشواهده.

٢- الاستدلال بسكوت النبي صلى الله عليه وسلم على كشف المرأة ليديها، أنها ليست عورة، والوجه كذلك له حكم اليدين. وورد في رواية أن هند بنت عتبة رضي الله عنها كانت كاشفة عن كفيها عند المبايعة، وسند الرواية أيضًا فيه مقال، وحسنه الألباني بشواهده، وهذا يرد على من قال: إن الواقعة كانت قبل نزول آيات الحجاب، فالمبايعة كانت في عام الفتح، وقد استدل بالحديث على جواز كشف الوجه إلحاقًا باليدين، واستدل به على عكس ذلك، وهو أقرب لمن استدل بكشف اليدين على كشف الوجه، لكن يرد على ذلك ما سبق أن أشرت إليه من أن المرأة تتساهل في يديها ما لا تتساهل في وجهها.

٢١- حديث عائشة رضي الله عنها

قالت: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة.. (متفق عليه). الاستدلال من الحديث: يسترني بردائه: هل يستدل بذلك على وجوب تغطية سائر الجسد بما في ذلك الوجه؟ لا خلاف في ذلك في حق أمهات المؤمنين اتفاقًا- وإنما يرد الخلاف في دخول غير أمهات المؤمنين في الأمر بالحجاب الكامل أم لا؟

٢٢- حديث عائشة رضي الله عنها قالت: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهو عروس بصفية بنت حيي، جئن نساء الأنصار فأخبرن عنها. قالت: فتنكرت وتنقبت فذهبت، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عيني فعرفني... (سنن ابن ماجه وغيره).

الاستدلال من الحديث: سند الحديث ضعيف، ضعفه البوصيري في مصباح الزجاجة، والألباني في الضعيفة، والأرناؤوط في سنن ابن ماجه وقوى الحديث التويجري بشاهد مرسل عن عطاء واستدل به على وجوب النقاب لعدم إنكار النبي صلى الله عليه وسلم على عائشة بتغطية وجهها. والحديث ضعيف، وإن تحسّن فالكلام سيكون في دخول غير أمهات المؤمنين في الأمر بالحجاب الكامل.

٢٣- حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما

قال: قبرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم -يعني ميتًا- فلما فرغنا، انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصرفنا معه، فلما حاذى بابه وقف فإذا نحن بامرأة مقبلة، قال أظن عرفها .... فلما ذهبت إذا هي فاطمة عليها السلام... (سنن أبي داود والنسائي ومسند أحمد وغيرهم).

الاستدلال من الحديث: الحديث ضعيف، ضعفه النسائي في السنن، والأرناؤوط في المسند، والألباني في التعليقات الحسان والضعيفة وغيرهما واستدل به التويجري على مشروعية الاحتجاب للنساء. والحديث ضعيف ولو تحسن فيكون الاستدلال به على مشروعية النقاب وليس على وجوبه، ومشروعية النقاب لا خلاف فيها بين أهل العلم القائلين بوجوب النقاب أو استحبابه.

٢٤- حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما

وفيه أن أباه قال: كساني رسول الله صلى الله عليه وسلم قبطية (ثياب تُصنع في مصر) كانت مما أهداها له دحية الكلبي فكسوتها امرأتي ..... فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: مُرْها فلتجعل تحتها غلالة (ما يُلبس تحت الثوب)؛ إني أخاف أن تصف حجم عظامها (مسند أحمد وغيره).

الاستدلال من الحديث: الحديث ليس قطعي الدلالة في وجوب تغطية الوجه، ومن استدل به استدل بجامع أن الفتنة بالوجه أولى من الجسد، وهذا غير مسلّم به.

٢٥- حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إياكم والجلوس على الطرقات، فأعطوا الطريق حقها، قالوا: وما حق الطريق؟ قال غض البصر ... (متفق عليه).

الاستدلال من الحديث: غض البصر: استدل به القائلون بجواز كشف الوجه؛ لأن غض البصر إنما يكون عن وجه المرأة أو الذي فيه حسنها، وهذا غير مسلّم به، فالرجل مطالب بغض البصر عن المرأة بكاملها.

٢٦- حديث بريدة رضي الله عنه

قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعليّ: يا علي لا تُتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى وليست لك الآخرة (سنن الترمذي وغيره).

الاستدلال من الحديث: "لا تتبع النظرة النظرة" كالحديث السابق لا يحصر النهي عن إتباع النظر للمرأة على أن وجهها يكون مكشوفًا، فالنهي إنما عن النظر إلى المرأة والتمعن فيها.

٢٧- حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه

قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظر الفجأة، فأمرني أن أصرف بصري (مسلم وغيره).

الاستدلال من الحديث: فأمرني أن أصرف بصري. الحديث ظني الدلالة في تغطية وجه المرأة أو عدم تغطيته، لذا استدل به الفريقان من قال بوجوب تغطية الوجه، ومن قال بجواز كشف الوجه.

٢٨- حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

قال استأذن عمر رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من قريش ... فلما استأذن عمر قمن يبتدرن الحجاب... (متفق عليه).

الاستدلال من الحديث: قمن يبتدرن الحجاب، هل لبسن النقاب أو كن لا يلبسنه في جلستهن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والنبي أقرهن على ذلك، أم أن المقصود أسرعن واختبأن لما سمعن صوت عمر، وهذا ما أرجحه.

٢٩- حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت:

لما انقضت عدتي من أبي سلمة أتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمني بيني وبينه حجاب ... (أخرجه ابن سعد في الطبقات، انظر جلباب المرأة المسلمة للألباني ص٨٧).

الاستدلال من الحديث: فكلمني بيني وبينه حجاب: سواء كان الحجاب هو التستر وراء جدار أو ستار أو هو تغطية الوجه، فالحديث دليل على مشروعية تغطية الوجه، ويبقى النزاع هل هو على الوجوب أم الاستحباب.

ثالثًا: الآثار الواردة عن الصحابة ومن بعدهم:

١- عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها: كنا نغطي وجوهنا من الرجال وكنا نمتشط قبل ذلك في الإحرام (صحيح ابن خزيمة وغيره، صححه الأعظمي، والحاكم والذهبي والألباني).

الاستدلال من الأثر: كنا نغطى وجوهنا من الرجال: فيه مشروعية تغطية وجه المرأة، هل ذلك على الوجوب أم على الاستحباب؟

في أثر عائشة رضي الله عنها: المحرمة تلبس من الثياب ما شاءت إلا ثوبًا مسّه ورس أو زعفران ولا تتبرقع ولا تتلثم وتسدل الثوب على وجهها إن شاءت (أخرجه البيهقي في الكبرى ح ٩٠٥٠، وصححه الألباني في الإرواء والأرناؤوط في المسند).

قولها: "إن شاءت"، يدل على عدم الإلزام، وتمسك بهذا من قال بمشروعية تغطية الوجه وليس وجوب تغطيته.

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

صلاة المسافر

إعداد د. حمدي طه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فما يزال الحديث متصلا عن مسائل وأحكام في صلاة المسافر، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

أولا: صلاة المقيم خلف المسافر:

اتفق الفقهاء على أنه يجوز اقتداء المقيم بالمسافر، مع الكراهة عند المالكية، لمخالفة نية إمامه، فإذا صلى المسافر بالمقيمين ركعتين سلم، ثم أتم المقيمون صلاتهم. ويستحب للمسافر الإمام أن يقول عقب التسليمتين: أتموا صلاتكم، فإني مسافر، لدفع توهم أنه سها، ولئلا يشتبه على الجاهل عدد ركعات الصلاة، فيظن أن الرباعية ركعتان. (الفِقْهُ الإسلاميُّ وأدلَّتُهُ.د. وهبة الزحيلي ١٣٥٨/٢).

والأصل في ذلك ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان إذا قدم مكة صلى بهم ركعتين، ثم قال: "يا أهل مكة! أتموا صلاتكم؛ فإنا قوم سفر" (أخرجه مالك في الموطأ وإسناده صحيح).

لذا إذا صلى المسافر بقوم مقيمين في صلاة رباعية فيخبرهم قبل الصلاة أنه يصلي صلاة المسافر قصرًا، وإذا فرغ من الركعتين يسلم، ويقول لهم بعد ذلك: "أتموا صلاتكم؛ فإنا سفر".

أما حديث عمران بن حصين رضي الله عنه قال: غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهدت معه الفتح، فأقام بمكة ثماني عشر ليلة لا يصلي إلا ركعتين. ويقول: "يا أهل البلد صلوا أربعا؛ فإنا سفر" رواه أبو داود وهو حديث ضعيف.

عند الحنفية: إذا صلى المسافر بالمقيمين ركعتين سلم، ثم أتم المقيمون صلاتهم، ويستحب له إذا سلم أن يقول: أتموا صلاتكم فإنا قومٌ سفرٌ. (انظر اللباب في شرح الكتاب لعبد الغني الدمشقي ٥٢/١).

وعند المالكية: لو أن مسافرًا صلى بمسافرين

ومقيمين سلم المسافرون بسلامه من الركعتين، وقام المقيمون فأتموا لأنفسهم فرادى. (انظر: الكافي في فقه أهل المدينة ابن عبد البر ١/٢٤٨).

وإن اقتدى مقيم به أي بالمسافر فكل منهما على سنته؛ أي على طريقته، وكره ذلك لمخالفته نية إمامه (انظر: حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ١/٣٦٥).

وعند الشافعية: إذا صلى مسافر بمسافرين ومقيمين جاز، ويقصر الإمام والمسافرون، ويتم المقيمون، ويسن للإمام أن يقول عقب سلامه: أتموا؛ فإنا قوم سفر (انظر: المجموع للنووي ٤/٣٥٧).

وقال ابن قدامة من الحنابلة: "أجمع أهل العلم على أن المقيم إذا ائتم بالمسافر وسلم المسافر من ركعتين أن على المقيم إتمام الصلاة. (المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل ٢/١٣١).

مسألة:

إذا قام الإمام للإتمام سهوًا أو جهلا بعد نية القصر، سبح له المأموم، بأن يقول: سبحان الله. فإن رجع سجد لسهوه، وإن لم يرجع فلا يتبعه، بل يجلس حتى يسلم إمامه. قال الإمام مالك في مسافر صلى بمسافرين، فسبحوا به بعد ركعتين، وقد قام يصلي، فتمادى بهم وجهل، فقال: "أرى أن يقعدوا، ولا يتبعوه". وقال ابن القاسم: "يقعدون حتى يصلي ويتشهد، ويسلم فيسلمون بسلامه، ويعيد هو الصلاة ما دام في الوقت".

ثانيا: صلاة المسافر خلف المقيم:

وإذا ائتم مسافر بمقيم يتم المسافر مثل صلاة إمامه، سواء أدرك جميع الصلاة، أو ركعة، وهذا هو الصواب من أقوال أهل العلم؛ وذكر الإمام ابن عبد البر رحمه الله: أن في إجماع الجمهور من الفقهاء على أن المسافر إذا دخل في صلاة المقيمين فأدرك منها ركعة أنه يلزمه أن يصلي أربعًا، وقال: قال أكثرهم: إنه إذا أحرم المسافر خلف المقيم قبل سلامه، أنه تلزمه صلاة المقيم، وعليه الإتمام (انظر: التمهيد ١٦/٣١١، ٣١٦).

وقال الحسن والنخعي والزهري وقتادة ومالك: إن أدرك ركعة أتم، وإن أدرك دونها قصر. (انظر: المغني - ابن قدامة ٢/١٢٩).

والأصل في ذلك ما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما من حديث موسى بن سلمة -رحمه الله- قال: كنا مع ابن عباس بمكة فقلت: إنا إذا كنا معكم صلينا أربعًا، وإذا رجعنا إلى رحالنا صلينا ركعتين، قال: تلك سُنَّة أبي القاسم صلى الله عليه وسلم" (رواه مسلم).

ومما يدل على أن المسافر إذا صلى خلف المقيم يلزمه الإتمام عموم قوله صلى الله عليه وسلم: "إنما جُعل الإمام ليؤتم به، فلا تختلفوا عليه، فإذا كبَّر فكبِّروا" (رواه البخاري ومسلم).

وكان ابن عمر رضي الله عنهما إذا صلى مع الإمام صلى أربعًا، وإذا صلاها وحده صلى ركعتين. (رواه مسلم).

قال الحنفية: يصحُّ اقْتداءُ الْمسافِر بالمقيم في الوقت، وينقلب فرض المسافر أربعًا عند عامة الفقهاء من الحنفية؛ لأنه لما اقتدى به صار تبعًا له؛ لأن متابعته واجبة عليه؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: إنما جعل الإمام ليؤتم به فلا تختلفوا عليه وأداء الصلاة في الوقت؛ مما يحتمل التغيير، وهو التبعية، فيتغير فرضه أربعًا، فصار صلاة المقتدي مثل صلاة الإمام، فصح اقتداؤه به. (انظر: بدائع الصنائع للكساني ١/٩٣).

وعند المالكية: يجوز

اقتداء المسافر بالمقيم مع الكراهة، للزوم مخالفة المسافر سنة القصر التي هي أوكد من سنة الجماعة عند ابن رشد. وتبعه أي المأموم المسافر إمامه المقيم في الإتمام وجوبًا إن أدرك معه ركعة. (انظر: منح الجليل شرح مختصر خليل للشيخ عليش ١/٤١١).

وعند الشافعية: لا يجوز القصر لمن انتم بمقيم؛ فإن انتم بمقيم في جزء من صلاته لزمه أن يتم لأنه اجتمع ما يقتضي القصر والتمام؛ فغلب التمام، فمن اقتدى بمتم في لحظة من صلاته لزمه الإتمام سواء كان المتم مقيمًا أو مسافرًا، نوى الاتمام أو ترك نية القصر (انظر: المجموع للنووي).

وعند الحنابلة: المسافر متى انتم بمقيم لزمه الانتمام: سواء أدرك جميع الصلاة أو ركعة أو أقل قال الأثرم: سألت أبا عبد الله -يعني الإمام أحمد بن حنبل- عن المسافر يدخل في تشهد المقيم قال: يصلي أربعًا، وروي ذلك عن ابن عمر وابن عباس وجماعة من التابعين.

وقال طاوس والشعبي: "في المسافر يدرك من صلاة المقيم ركعتين يجزيان" (انظر: المغني لابن قدامة ٢/١٢٩).

وذهب طاوس وداود والشعبي إلى عدم الصحة؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: "لا تختلفوا على إمامكم"؛ وقد خالف في العدد والنية. (انظر: نيل الأوطار للشوكاني ٣/١٩٩).

وما ذهب إليه جمهور الفقهاء هو الأرجح لقوة أدلتهم.

ثالثًا: قضاء فائتة السفر في الحضر وعكسه:

قال الحنفية والمالكية والشافعية في القديم: من فاتته صلاة في السفر قضاها في الحضر ركعتين، ومن فاتته صلاة في الحضر قضاها في السفر أربعًا؛ لأن القضاء بحسب الأداء.

والمعتبر في ذلك آخر الوقت؛ لأنه المعتبر في السببية عند عدم الأداء في الوقت.

وقال زفر من الحنفية: إذا سافر وقد بقي من الوقت قدر ما يمكنه أن يصلي فيه صلاة السفر يقضي صلاة السفر، وان كان الباقي دونه صلى صلاة المقيم. وذهب الشافعية في الجديد - وهو الأصح - إلى أنه لا يجوز له القصر؛ لأنه تخفيف تعلق بعذر فزال بزوال العذر. وان فاتته في السفر فقضاها في السفر ففيه قولان: أحدهما: لا يقصر؛ لأنها صلاة ردت من أربع إلى ركعتين، فكان من شرطها الوقت. والثاني: له أن يقصر -وهو الأصح- لأنه تخفيف تعلق بعذر، والعذر باق، فكان التخفيف باقيًا. وان فاتته في الحضر صلاة، فأراد قضاءها في السفر لم يجز له القصر؛ لأنه ثبت في ذمته صلاة تامة فلم يجز له القصر، وقال المزني: له أن يقصر.

وقال الحنابلة: إذا نسي صلاة حضر فذكرها في السفر، أو نسي صلاة سفر فذكرها في الحضر صلى في الحالتين صلاة حضر. نص عليه أحمد في رواية أبي داود والأثرم؛ لأن القصر رخصة من رخص السفر فيبطل بزواله. أما المقيم إذا ذكرها في السفر فذاك بالإجماع يصلي أربعًا، وإذا نسيها في السفر فذكرها في الحضر صلى أربعًا بالاحتياط؛ فإنما وجبت عليه الساعة فذهب أبو عبد الله إلى ظاهر الحديث (فليصلها إذا ذكرها). (انظر: الموسوعة الفقهية، فتح القدير ١/٤٠٥، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ١/٣٦٠، المهذب للشيرازي ١/١٠٣، ١٠٤، المغني لابن قدامة ٢/١٢٧).

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

شهر شعبان؛ أحداث وتأريخ

إعداد أحمد عز الدين محمد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين وآله وصحبه إلى يوم الدين، أما بعد: فمن لطف الله تعالى بعباده المسلمين أن جعل لهم مواسم لعظيم الطاعات، وجليل النفحات يعظم أجرها بعظم زمانها، وما أودعه الله تعالى فيها من الفضل وما خصها به من الخير، وشهر شعبان خصه الله تعالى بكثير من الفضل والخير في جملة من الوقائع والأحداث على مدار التاريخ الإسلامي منها كما يلي:

أولا:

١) قيل إن تحويل القبلة في العاشر من شعبان سنة ٢هـ:

قبل غزوة بدر الكبرى صرف الله تعالى القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، على رأس ثمانية عشر شهرًا من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، حكى هذا القول ابن جرير من طريق السدي بسنده عن ابن عباس، وابن مسعود وناس من الصحابة رضي الله عنهم. وقال ابن كثير رحمه الله ما نصه: «وقد قال البخاري رحمه الله بسنده عن البراء، أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرًا، وكان يعجبه أن تكون قبلته إلى البيت، وأنه أول صلاة صلاها العصر وصلى معه قوم من الصحابة رضي الله عنهم».

٢) وفي شعبان سنة ٢هـ فرض صيام رمضان وقد أحيل الصيام ثلاثة أحوال:

فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فجعل يصوم من كل شهر ثلاثة أيام، وصام عاشوراء، ثم إن الله فرض عليه الصيام وأنزل الآية: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ». قوله: «وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ»، فكان من شاء صام ومن شاء أطعم فأجزأ ذَلك عنه، ثم إن الله عز وجل أنزل الآية الأخرى: «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ... » إلى قوله: «فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ»؛ فأثبت صيامه على المقيم الصحيح. ولهذا في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها مثله. قاله ابن جرير عن ابن أبي ليلى عن معاذ بن جبل.

ثانيا: وفي شعبان سنة ٤هـ، بعد الموعدة التي تواعدوا إليها في أحد:

وقد خرج النبي صلى الله عليه وسلم لموعده في ألف وخمسمائة وكانت الخيل عشرة أفراس وحمل اللواء علي رضي الله عنه، واستخلف على المدينة عبد الله بن رواحة، وأقام في بدر ينتظر المشركين على الموعد،

وأما أبو سفيان فخرج في ألفين من مشركي مكة ومعهم خمسون فرسًا حتى انتهى إلى مر الظهران على بعد مرحلة من مكة فقط فنزل بمجنة، وهو ماء تلك الناحية قريب من مكة. وكان متثاقلًا يفكر في عقبى القتال مع المسلمين، وقد أخذه الرعب حتى خار عزمه فاحتال للرجوع، وقال: يا معشر قريش، إنه لا يصلحكم إلا عام خصب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن، وإن عامكم هذا عام جدب، وإني راجع فارجعوا فرجعوا. وأما المسلمون فأقاموا ببدر ثمانية أيام ينتظرون المشركين، وباعوا ما معهم من التجارة فربحوا بدرهم ودرهمين، ثم رجعوا إلى المدينة وقد انتقل زمام المفاجأة في قتال عدوهم إلى أيديهم، وتوطدت هيبتهم في النفوس، وسادوا على الموقف وتعرف هذه الغزوة أيضًا ببدر الصغرى.

ثالثًا:

وفي شعبان وُلِدَ عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما الذي كان أول مولود بعد الهجرة في الإسلام من المهاجرين، وعند البخاري رحمه الله تعالى قالت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما: ففرحوا به فرحًا شديدًا؛ لأنهم قيل لهم: إن اليهود سحرتكم فلا يُولد لكم، ومما يذكر أيضًا في شعبان أن النعمان بن بشير أول مولود للأنصار ولد بعد الهجرة رضي الله عنهم أجمعين.

في شعبان سنة ٤هـ وُلِدَ الحسين بن علي من فاطمة رضي الله عنهم. والحسين رضي الله عنه هو سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم عنه: الحسن والحسين رضي الله عنهما "سيدا شباب أهل الجنة".

رابعًا: في شعبان سنة ٦هـ في غزوة المريسيع وقيل ٥هـ:

وسببها خروج الحارث بن أبي ضرار رئيس وسيد بني المصطلق ومعه بعض من قبائل العرب وتجمعوا في مكان يقال له المريسيع وهو عين للماء؛ وذلك لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم. فبعث بريدة بن الحصيب الأسلمي ليأتي بخبرهم، فلما تحقق، والتقى الجيشان تراشقوا بالنبال، ثم حمل المسلمون عليهم حملة وحمل واحد فتم النصر بإذن الله تعالى وسبى النبي عليه الصلاة والسلام النساء والذراري منهم.

وكان من السبايا السيدة جويرية بنت الحارث وتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم وأعتق المسلمون من كان في أيديهم من السبايا، وقالوا: أصهار رسول الله، فكانت هي بركة على قومها رضي الله عنها، وقد وقعت حادثة الإفك؛ وذلك من حقد المنافقين وأنزل الله عز وجل في ذلك عشر آيات مبرءات لأَمَتنا عائشة من هذه البهتان، وفضح الله تعالى فيها أهل النفاق.

خامسًا: سرية فدك في شعبان ٦ هـ:

وسببها أن بني سعد بن بكر بن هوازن تجمعوا بفدك، وذلك ليعينوا أهل خيبر على قتال المسلمين، فأرسل رسول الله عليًّا رضي الله عنه على رأس سرية لقتالهم وقد أخذ عينًا ليدله عليهم؛ ففروا وذعروا، ورجع علي رضي الله عنه ومن معه بالغنائم الكثيرة منصورين.

سادسًا: سرية عمر بن الخطاب رضي الله عنه في شعبان سنة ٧ هـ:

إلى تربة وهو موضع كان فيه جمع من هوازن، للتآمر على المسلمين، فأرسل النبي ثلاثين صحابيًا بقيادة عمر بن الخطاب رضي الله عنهم، فكان يكمن الليل ويسير بالنهار حتى وصل إليهم، فلما رأوهم تفرق المشركون في شعاب الجبال، وهربوا، فلم يلق عمر رضي الله عنه كيدًا وسلم من كان معه وفي طريق عودته إلى المدينة مر من قبيلة خثعم فقال له دليله: قاتلهم لتأديبهم ولتنال الغنائم. فقال عمر: معاذ الله أن أقاتل إلا ما أمرني الرسول بقتاله، رضي الله عن الصحابة وبارك الله في الوقوف عند أوامر نبينا الكريم. هذا بعض من كثير من أحداث شعبان ولله الحمد والمنة وفيه كفاية، والله تعالى من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

التحذير من حمل نصوص الكافرين على المؤمنين

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا صلى الله عليه وسلم رسول الله.

أما بعد: فقد روى البخاري في صحيحه في كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم، وقول الله تعالى: «وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ» (التوبة: ١١٥). وكان ابن عمر يراهم شرار خلق الله، وقال: إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين.

إعداد **عاطف التاجوري**

هكذا روى البخاري هذا الحديث الموقوف على الصحابي الجليل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما معلقًا بصيغة الجزم، والمعروف من منهج البخاري في صحيحه أن الأحاديث المعلقة بصيغة الجزم هي أحاديث جزم البخاري بصحتها ولكنه لم يورد سندها لعدم مناسبة هذا السند لشرطه في صحيح البخاري.

وقال ابن حجر في شرحه لهذا الحديث في كتابه «فتح الباري»: قوله: «وكان ابن عمر يراهم شرار خلق الله... إلخ»، وصله الطبري في مسند علي من تهذيب الآثار من طريق بكير بن عبد الله بن الأشج أنه سأل نافعًا كيف كان رأى ابن عمر في الحرورية؟ قال: كان يراهم شرار خلق الله، انطلقوا إلى آيات الكفار فجعلوها في المؤمنين. قلت: وسنده صحيح (فتح الباري بشرح صحيح البخاري- لابن حجر العسقلاني- ج١٢- ص٢٩٨).

وقد ذكر البخاري في هذا الباب الذي نتكلم عنه وهو باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم ثلاثة أحاديث عن ثلاثة من الصحابة وهم علي بن أبي طالب، وأبو سعيد الخدري، وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم، وموضوعهم واحد، ولذلك سنكتفي بذكر حديث واحد منها، وهو حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

قال علي رضي الله عنه: إذا حدثتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثًا، فوالله لأن أخرَّ من السماء أحب إليَّ من أن أكذب عليه، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فإن الحرب خدعة، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «سيخرج قوم في آخر الزمان أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجرًا لمن قتلهم يوم القيامة». الحديث رقم (٦٩٣٠).

وهكذا يتضح أن الآيات التي نزلت في الكفار لا تحمل على المؤمنين، وإنما تُحمل على الكفار فقط، وأن حمل آيات الكفار على المؤمنين إنما هو فعل الخوارج الذين وصفوا بكل هذه الصفات السيئة في هذه الأحاديث وفي غيرها.

معاني بعض الكلمات في الحديث:

قوله في آخر الزمان: قال ابن حجر في فتح الباري

بعد أن ذكر العديد من الآراء: ويمكن الجمع بأن المراد بآخر الزمان زمان خلافة النبوة، فإن في حديث سفينة المخرج في السنن وصحيح ابن حبان وغيره مرفوعًا: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تصير ملكًا».

وكانت قصة الخوارج وقتلهم بالنهروان في أواخر خلافة علي سنة ثمان وعشرين بعد النبي صلى الله عليه وسلم بدون الثلاثين بنحو سنتين.

قوله «أحداث» جمع حدث بفتحتين وهو الصغير السن، والأسنان جمع سن والمراد به العمر، والمراد أنهم شباب.

قوله «سفهاء الأحلام»: جمع حليم بكسر أوله والمراد به العقل، والمعنى أن عقولهم رديئة، وقال النووي: يستفاد منه أن التثبت وقوة البصيرة تكون عند كمال السن وكثرة التجارب وقوة العقل.

قوله «يقولون من خير قول البرية»: قال ابن حجر: تقدم في علامات النبوة وفي آخر فضائل القرآن قول من قال: إنه مقلوب، وأن المراد من قول خير البرية وهو القرآن، ثم قال ابن حجر أيضًا: قلت: ويحتمل أن يكون على ظاهره والمراد القول الحسن في الظاهر، وباطنه على خلاف ذلك كقولهم «لا حكم إلا لله» في جواب على قوله: «لا يجاوز إيمانهم حناجرهم». الحناجر بالحاء المهملة والنون ثم الجيم جمع حنجرة بوزن قسورة، وهي الحلقوم، والبلعوم وكله يطلق على مجرى النفس وهو طرف المريء مما يلي الفم.. والمراد أنهم يؤمنون بالنطق لا بالقلب.

قوله «يمرقون من الدين»: قال ابن حجر: في رواية أبي إسحاق عن سويد بن غفلة عند النسائي والطبري «يمرقون من الإسلام» وكذا في حديث ابن عمر في الباب.

قوله «كما يمرق السهم من الرمية»: بفتح الراء وكسر الميم وتشديد التحتانية أي الشيء الذي يرمى به. (يراجع فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، ج١٢، ص٣٠٠، ٣٠١).

وإنما أردنا من الإتيان بمعاني هذه الكلمات في الحديث فهم الحديث فهمًا صحيحًا، والاستفادة من هذا الفهم في البعد عن هذه الصفات والحذر منها، وبالتالي الحذر من موضوعنا الذي نتناوله وهو حمل نصوص الكافرين على المؤمنين.

حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه:

وقد يلتبس مع هذا الفهم حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه الذي رواه الحاكم في المستدرك: عن همام قال: كنا عند حذيفة فذكروا: «وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ» (المائدة: ٤٤): فقال رجل من القوم: إن هذا في بني إسرائيل، فقال حذيفة: نعم الإخوة بنو إسرائيل إن كان لكم الحلو ولهم المر، كلا والذي نفسي بيده حتى تحذو السنة بالسنة حذو القذة بالقذة. (رواه الحاكم في المستدرك برقم (٣٢١٨) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال الذهبي في التلخيص: على شرط البخاري ومسلم).

وموضع الشاهد من حديث حذيفة هو قول الرجل الذي قال بعد أن قيلت آية سورة المائدة: «إن هذا في بني إسرائيل».

وهذا هو الفهم الصحيح أي إن هذه الآية نزلت في الكفار فلا تُحمل على المؤمنين، فرد عليه حذيفة ردًا قد لا يفهم المراد منه: لأن حذيفة رضي الله عنه قال له: نعم الإخوة بنو إسرائيل، وبالطبع لا يعني الإخوة الإيمانية، كقوله تعالى: «إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ» (الحجرات:١٠). وإنما يعني التحذير من مشابهتهم واتباع طريقتهم كما حذر الرسول صلى الله عليه وسلم من ذلك أيضًا في الحديث المعروف: «لتتبعن سنن من قبلكم شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه، فقلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟». (رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٤٥٦، ٧٣٢٠)، ورواه مسلم في صحيحه برقم (٢٦٦٩)).

والحمد لله رب العالمين.

علمتنا كورونا

(١) علمتنا إعمال القواعد الفقهية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين، صلى الله عليه وسلم.

أما بعد: فلا يخفى أن دراسة النوازل الفقهية التي تعتري الأمة من أهم المهمات اللازمة للمشتغلين بالعلم، والنوازل اصطلاحًا كما قال ابن عابدين -رحمه الله-: «المسائل التي سئل عنها المشايخ المجتهدون في المذهب، ولم يجدوا فيها نصًا فأفتوا فيها تخريجًا».

ويُمكن أن تُعرف بأجمع من ذلك؛ فهي: «الوقائع والمسائل المستجدة والحادثة، المشهورة بلسان العصر باسم: النظريات والظواهر».

وإنما كان لدراسة النوازل هذه الأهمية؛ لما فيها من القيام بالفرض الكفائي بأجوبة مسائل المستفتين؛ فإنه فرض كفاية على من حضر من أهل العلم؛ فإن لم يكن إلا واحد تعيّن عليه، مع اشتمالها على بيان كمال الشريعة، وأنها صالحة لكل زمان ومكان، فما من نازلة من النوازل إلا ولها حكم في الشريعة كما قال تعالى: «وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ» (النحل:٨٩)؛ فهي الشريعة الخالدة الباقية، وأنها الكفيلة بتقديم الحلول الناجعة لكل المشكلات والحادثات.

إعداد **د. أشرف خليفة السيوطي**

ولئن أطلت نازلة كورونا برأسها منذ عامين تقريبًا إلا أنها لا زالت تحصد حصدًا، وكم صنعت في المجتمع من تغيرات وتصدعات!، وكان جديرٌ بالمؤمن أن يطلب منها الدروس والعِبَر؛ كشأن أي حادثة يمرَ عليها؛ فيعتبر ولا يغفل.

لا سيما مع ازدياد آثارها في المجتمع أجمع؛ فليست هي بالنازلة القاصرة، بل منذ عقود من الزمان لم يطرق العالم كله جائحة بنفس حجم جائحة الكورونا (covid١٩) بحيث ارتعدت الدول الكبار قبل الصغار، وأغلقت المطارات، وتعطلت الرحلات، وساد الذعر، وانبرى الفقهاء ينظرون في الرخص والعزائم؛ تخفيفًا على الناس.

وليس غرضنا هنا التعرف على الأحكام الفقهية التي لازمت فيروس كورونا؛ فقد أدلى الناس فيها بدلوهم، وكثرت فيها الرسائل، والأبحاث، وإنما الغرض هنا التعرف على بعض القواعد الفقهية عظيمة التأثير في الأحكام.

أهمية القواعد:

إن تناول أي علم من العلوم المدونة لا يسدد إلا من خلال قواعده العامة، وضوابطه المرعية، ومميزاته الخاصة التي يمتاز بها دون بقية العلوم؛ حتى يكون الطالب لهذا العلم على بصيرة تامة بقدر ما يتمكن من آلة ذلك العلم، وبقدر ما يتوصل إلى نتائج سديدة رشيدة فيه، حيث يدخل البيوت من أبوابها، وقد وقف على عناوينها وأوتي مفاتيحها.

فمن مهمات طالب العلم أن يُتقن القواعد العامة التي يندرج تحتها جزئيات كثيرة؛ قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: "لا بد أن يكون مع الإنسان أصول كلية ترد إليها الجزئيات ليتكلم بعلم وعدل ثم يعرف الجزئيات كيف وقعت؟ والا فيبقى في كذب وجهل في الجزئيات وجهل وظلم في الكليات فيتولد فساد عظيم".

وهو أصل عظيم يشير إلى أن مراعاة الفروع الفقهية مع إغفال القواعد تُؤدي إلى الخلط والظلم والجهل. وحسبك بهذه العبارة من إمام السنة، ولو نطق بها بعض علماء زماننا لرُبما نسبوا إلى التأثر بالمقاصدية، أو عدم الاطلاع الواسع، فحسبنا مجيء التنبيه من ابن تيمية رحمه الله.

وقال ابن العثيمين رحمه الله: "الأصول والقواعد ومن لم يعرف الأصول حرم الوصول. وكثير من طلبة العلم تجده يحفظ مسائل كثيرة لكن ليس عنده أصل لو تأتيه مسألة واحدة شاذة عما كان يحفظه ما استطاع أن يعرف لها حلاً، لكن إذا

عرف الضوابط والأصول استطاع أن يحكم على كل مسألة جزئية من مسائله، ولهذا فأنا أحث إخواني على معرفة الأصول والضوابط والقواعد لما فيها من الفائدة العظيمة وهذا شيء جربناه وشاهدناه مع غيرنا على أن الأصول هي المهم".

وقال رحمه الله في منظومته:

وبعد فالعلم بحور زاخرة
لن يبلغ الكادح فيه آخره
لكنْ في أصوله تسهيلا
لنيله فاحرص تجد سبيلا
اغتنم القواعد الأصولا
فمن تفته يحرم الوصولا

تعريف القاعدة الفقهية:

يتركب تعريف القاعدة الفقهية من مفردين: القاعدة، الفقهية.

القاعدة فاعلة من قعدت قعودًا. والقاعدة: أصل الأسّ، والقواعد: الأساس، وقواعد البيت أساسه. واصطلاحاً: القاعدة: هي قضية كلية منطبقة على جميع جزئياتها.

أو: «قضية كلية من حيث اشتمالها بالقوة على أحكام جزئيات موضوعها، وتسمى فروعاً، واستخراجها منها تفريعاً كقولنا: «كل إجماع حق»، وهي الأساس والأصل لما فوقها».

والفرق بين القاعدة الفقهية، والضابط الفقهي: أن القاعدة والضابط يشتركان في كونهما أمراً كلياً يشمل أفراداً إلا أن القاعدة تجمع فروعاً من أبواب شتى، والضابط يجمعها من باب واحد.

قال السبكي: «فالقاعدة: الأمر الكلي الذي ينطبق عليه جزئيات كثيرة يفهم أحكامها منها»، ومنها ما لا يختص بباب كقولنا: «اليقين لا يرفع بالشك».

ومن أهم ما في القواعد والضوابط الفقهية أنها تعين المفتي على الفتوى لا سيما في النوازل- إذا اعتنى المفتي بشروط القاعدة وانتبه لمستثنياتها-.

وقد كانت جائحة كورونا كالعاصفة التي يضطرب أمامها من بضاعته من الفقه حفظ الفروع دون الدراية بالقواعد، والعلل بشكل كاف، ولذلك ربما تفاجأ الناس بأحكام استثنائية لم تكن محل الاستغراب لمن كان متضلعا بقواعد الشرع.

ومن أهم القواعد التي احتيج إليها في النازلة:

القاعدة الأولى: الميسور لا يسقط بالمعسور، أو: مَن قدر على جزء من العبادة مقصود لزمه؛ والقاعدة فرع عن قاعدة من القواعد الفقهية الخمس الكبرى، التي يرجع إليها غالب أبواب الفقه؛ وهي قاعدة: «المشقة تجلب التيسير»، من أوائل القواعد التي دخلت في التقعيد الفقهي؛ وقد يُعبر عنها بلفظ: «إذا ضاق الأمر اتسع».

إلا أن القاعدة التي نصصنا عليها هي الألصق بأكثر نوازل كورونا؛ فمما يتفرع عليها أنه متى أمكن إدراك جزء من العبادة لزم، فما أمكن فعل بعضه من الواجبات لا يسقط بالعجز عن جميع الواجب، ومن فروعها:

بقاء مشروعية صلاة الجماعة في المسجد-ولو بأقل عدد- فيُلزم الإمام والمؤذن ومقيم الشعائر بصلاتها مع مراعاة التزام وسائل مكافحة العدوى.

ومنها: لزوم إبقاء الحج بالعدد الذي يُمكن معه التحكم فيه، وعدم التسارع في العدوى.

ومنها: أن من عجز عن شيء من العقود كعقود التوريد لظروف الجائحة-وقدر على بعضه- فإنه يُلزم به.

ومنها: أنه إذا أمكن أن تُقام الجمعة في البلد-ولو بثلاثة- لم يجز إسقاطها بالكلية.

القاعدة الثانية: الضرر يُزال:

وقد يُعبر عن القاعدة بلفظ الحديث النبوي: «لا ضرر ولا ضرار».

«الضرورات تبيح المحظورات»:

والقاعدة الرئيسة أحد القواعد الفقهية الخمس الكبرى، التي يرجع إليها غالب أبواب الفقه ومن فروعها في هذه الجائحة:

١- تحريم صلاة مريض الكورونا في المسجد-ولو صلاة الجمعة- في الحال التي قد يتأذى فيها غيره؛ لأن الضرر مرفوع.

٢- تحريم اختلاط المريض بالمرض الوبائي بالناس في المجامع العامة رفعًا للضرر عنهم.

٣- منع التجمعات الكبيرة عمومًا-لا سيما مع عدم الضرورة إليها- إذا غلب على الظن انتقال الأوبئة من خلالها.

٤- مراعاة الظروف الطارئة على الموردين، والمستأجرين، وغيرهم ممن تأثروا بالظروف التي نزلت بهم؛ فيُراعي القاضي ذلك حال الفصل في هذه الخصومات.

فهذه باكورة القواعد المتعلقة بالنازلة، ولنا إليها عودة إن شاء الله.

حماية الأسرة من الأخطار (١)

خطر العين والحسد

إعداد د. جمال عبد الرحمن

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله؛ وبعد...

فقد تحدثنا في المقال السابق عن معنى السعادة وأسبابها والسعداء الحقيقيين، وهذه المرة نتحدث عن السلبيات التي تذهب رونق هذه السعادة، والأخطار التي تتهددها، وتذهب ببهجتها، هذه الأخطار منها الماثل والواقع في الحياة الأسرية، وتعاني منه البيوت المسلمة، ومنها ما هو متوقع ويُخشى وصوله إلى تلك البيوت.

النبي محمد عليه الصلاة والسلام قد أرسى قواعد السعادة وبين مادتها وحدد أجزاءها، فقال عليه الصلاة والسلام: "مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ؛ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا". رواه الترمذي ح٥١٩٠ وحسنه الألباني.

قال الملا الهروي القاري: " مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ ": أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ " آمِنًا ": غَيْرَ خَائِفٍ مِنْ عَدُوٍّ أَوْ مِنْ أَسْبَابِ عَذَابِهِ تَعَالَى بِالتَّوْبَةِ عَنِ الْمَعَاصِي وَالْعِصْمَةِ عَنِ الْمَنَاهِي، وَلِذَا قِيلَ: لَيْسَ الْعِيدُ لِمَنْ لَبِسَ الْجَدِيدَ إِنَّمَا الْعِيدُ لِمَنْ أَمِنَ الْوَعِيدَ. "فِي سِرْبِهِ": أَيْ: فِي نَفْسِهِ، وَقِيلَ: السِّرْبُ الْجَمَاعَةُ، فَالْمَعْنَى فِي أَهْلِهِ وَعِيَالِهِ، وَقِيلَ بِفَتْحِ السِّينِ أَيْ: فِي مَسْلَكِهِ وَطَرِيقِهِ، وَقِيلَ بِفَتْحَتَيْنِ أَيْ: فِي بَيْتِهِ... وَفِي الْقَامُوسِ: السَّرْبُ الطَّرِيقُ وَبِالْكَسْرِ الطَّرِيقُ وَالْبَالُ وَالْقَلْبُ وَالنَّفْسُ، وَبِالتَّحْرِيكِ جُحْرُ الْوَحْشِ وَالْحَفِيرُ تَحْتَ الْأَرْضِ اه. فَيَكُونُ الْمُرَادُ مِنَ الْحَدِيثِ الْمُبَالَغَةَ فِي حُصُولِ الْأَمْنِ وَلَوْ فِي بَيْتٍ تَحْتَ الْأَرْضِ ضَيِّقٍ كَجُحْرِ الْوَحْشِ، أَوِ التَّشْبِيهُ بِهِ فِي خَفَائِهِ وَعَدَمِ ضِيَائِهِ. وقوله صلى الله عليه وسلم: "مُعَافًى": أَيْ: صَحِيحًا سَالِمًا مِنَ الْعُيُوبِ، " فِي جَسَدِهِ "، أَيْ: بَدَنِهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، " عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ "، أَيْ: كِفَايَةُ قُوتِهِ مِنْ وَجْهِ الْحَلَالِ " فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ": بِصِيغَةِ الْمَجْهُولِ مِنَ الْحِيَازَةِ، وَهِيَ الْجَمْعُ وَالضَّمُّ " لَهُ ": أَيْ: جُمِعَتْ لَهُ، " الدُّنْيَا ": أَيْ: " بِحَذَافِيرِهَا ": أَيْ: بِتَمَامِهَا، وَالْحَذَافِيرُ: الْجَوَانِبُ، وَقِيلَ: الْأَعَالِي، وَاحِدُهَا حِذْفَارٌ أَوْ حُذْفُورٌ، وَالْمَعْنَى، فَكَأَنَّمَا أُعْطِيَ الدُّنْيَا بِأَسْرِهَا. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣٢٥٠/٨).

ويؤيد هذا المعنى ما جاء عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ أَغْبَطَ أَوْلِيَائِي عِنْدِي لَمُؤْمِنٌ خَفِيفُ الْحَاذِ ذُو حَظٍّ مِنَ الصَّلَاةِ،

أَحْسَنَ عبادَةَ رَبِّه وَأطاعَهُ في السِّرِّ، وَكانَ غَامضًا في النَّاس لاَ يُشَارُ إلَيْه بالْأَصابع، وَكَانَ رزْقُهُ كَفافًا فَصَبَرَ على ذلك». ثُمَّ نَقَرَ بإصْبَعَيْه فقَالَ: «عُجِّلَتْ مَنيَّتُهُ. قَلَّتْ بَوَاكيه قَلَّ تُرَاثُهُ». وضعّفه الألباني.

وهذا الحديث الثاني على ضعفه إلا أنه كمعنى جاء في نفس السياق. ومعنى "خَفيفُ الحاذ" الحاذ، والحال واحد، أي خفيف الظَّهر من العيال". "وكانَ غامضًا في النَّاس" أي: مغمورًا غير مشهور، وفي بعض النُّسخ بإهمال الصَّاد، فهو فاعل بمعنى مفعول، أي مغموصًا، بمعنى محتقرًا مزدرى.

وإذا كان الله تعالى منَّ على الكثير منا بنعم أكثر مما ذكر بالحديث فنحن والله في رغد من العيش.

فإذا وهبك الله تعالى زوجة صالحة.. وأعطاك منها الولد، وعافاكم الله تعالى من أن يتدخل بينكم أحد من الناس بفساد أو وقيعة، أو تهديد أو وعيد، وحين لا يعرف الطريق إليكم شيطان من شياطين الإنس، هذه والله نعمة من أعظم النعم. تحتاج شكرًا كبيرًا لله تعالى مسدي النعم. الذي قال: "وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ". إبراهيم/٧.

هذه النعم تحتاج بعد الشكر إلى طلب الستر من الله عز وجل، ولا يكون ذلك إلا بستر الإنسان للنعمة عن أعين الناس مخافة الحسد الذي قد يؤدي إلى دمار بيوت وموت أناس. وهذا خطر جسيم.

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان، فإن كل ذي نعمة محسود". السلسلة الصحيحة ح ١٤٥٣. عن معاذ بن جبل.

إن للبيوت حرمة، وإن للأزواج حرمة، وللأولاد حرمة، فلا ينبغي أن تكون البيوت مستباحة للناس، فاستروا أنفسكم عن عيون الناس، تكتموا على أسراركم، كونوا على حذر. فعَنْ أَبي سَعيد الْخُدْريّ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمعَ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ يَقُولُ: " لاَ تُصَاحبْ إلاَّ مُؤْمنًا، وَلاَ يَأْكُلْ طَعَامَكَ إلاَّ تَقيٌّ". مسند أحمد ح ١١٣٣٧ وإسناده حسن. ذلك أن البيوت تبقى متماسكة، وتبقى الأسر مترابطة، وتبقى وفية مخلصة؛ ما دامت تُغلق عليها أبوابها، تبقي البيوت ببركتها ما دامت تقطع الطريق على شرار الخلق.

وقد فهم الصحابة رضوان الله تعالى عليهم هذه المسألة، حتى إن الصحابي الجليل عمر بن الخطاب كان يخشى على النبي صلى الله عليه وسلم وآل بيته من هذا الشر، فقد جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال له: يَا رَسُولَ الله، إنَّ نسَاءَكَ يَدْخُلُ عَلَيْهنَّ الْبَرُّ وَالْفَاجرُ، فَلَوْ أَمَرْتَهُنَّ أَنْ يَحْتَجبْنَ؟ فَنَزَلَتْ آيَةُ الْحجَاب". مسند أحمد ح ١٥٧ وإسناده صحيح.

وفي رواية البخاري ح ٦٢٤٠ أن عَائشَةَ رَضيَ اللهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ، قَالَتْ: كَانَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّاب رضي الله عنه يَقُولُ لرَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: احْجُبْ نسَاءَكَ، قَالَتْ: فَلَمْ يَفْعَلْ، "وَكَانَ أَزْوَاجُ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ يَخْرُجْنَ لَيْلًا إلَى لَيْل قبَلَ المَنَاصع (مكان قضاء الحاجة)، فَخَرَجَتْ سَوْدَةُ بنْتُ زَمْعَةَ، وَكَانَت امْرَأَةً طَويلَةً، فَرَآهَا عُمَرُ بْنُ الخَطَّاب وَهُوَ في المَجْلس، فَقَالَ: عَرَفْتُك

يَا سَوْدَةُ، حِرْصًا عَلَى أَنْ يُنْزَلَ الحِجَابُ"؛ قَالَتْ: «فَأَنْزَلَ اللَّه عَزَّ وَجلَّ آيَةَ الحِجَاب».

وعمر رضي الله عنه قال ما قال في أشرف زمان، وفي خير القرون أصحاب النبي محمد صلى الله عليه وسلم، قال: يا رَسولَ اللَّه، لو أمَرْتَ نساءَكَ أنْ يَحْتَجِبْنَ، فإنَّه يُكَلِّمُهُنَّ البَرُّ والفاجِرُ، فَنَزَلَتْ هذه الآيَةُ «وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ».

أما البر في قول عمر: فهو الصادق من أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام مثل (أبي بكر، وعلي، وزيد، وسعد، وأبي هريرة، وربيعة) وغيرهم من الصحابة الكرام.

وأما الفاجر في قول عمر: فيقصد به أهل النفاق، والذين في قلوبهم مرض، وقد كان منهم في المدينة كثير.. كان بعض المنافقين يدخل على النبي عليه الصلاة والسلام بحضرة أمهات المؤمنين (فينظر أينما ينظر، ويقول ما يحب أن يقول) كالرجل الذي استأذن في الدخول عليه صلى الله عليه وسلم كما جاء في حديث عائشة: أنَّ رَجُلًا اسْتَأْذَنَ علَى النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَلَمَّا رَآهُ قالَ: «بئْسَ أخُو العَشِيرَةِ، وبِئْسَ ابنُ العَشِيرَةِ»، فَلَمَّا جَلَسَ تَطَلَّقَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في وَجْهِهِ وانْبَسَطَ إلَيْهِ، فَلَمَّا انْطَلَقَ الرَّجُلُ قالَتْ له عَائِشَةُ: يا رَسولَ اللَّهِ، حِينَ رَأَيْتَ الرَّجُلَ قُلْتَ له كَذَا وكَذَا، ثُمَّ تَطَلَّقْتَ في وجْهِهِ وانْبَسَطْتَ إلَيْهِ؟ فَقالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: «يا عَائِشَةُ، مَتَى عَهِدْتِنِي فَحَّاشًا، إنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَومَ القِيَامَةِ مَن تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ». صحيح البخاري ح ٦٠٣٢.

كثير من الناس كلما ظهرت عليه نعمة أشاع في الناس وأذاع، وكل هذا مجلبة للحسد كما مر: "وكل ذي نعمة محسود". ومن عجيب ما ترى وتسمع عن شابة تنتظر شابًا يخطبها، وربما طال انتظاره فإذا جاء أعلن الخبر على صفحات النت، وكانت للخطبة حفلة في قاعة ويدعى إليها كما مر، الفاجر والبر، وتنظر الشابات المتطلعات بعيون حاسدة، وتأتي العاقبة، الأدهى والأمَر، لقد رفض الخاطب وفرَّ. وما تم الزواج وما استمر. وسبحان من بيده القضاء والقدر.

وقد حذَّر المختار سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من مثل هذه المغبات. فعَن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "الْعَيْنُ حَقٌّ، الْعَيْنُ حَقٌّ، تَسْتَنْزِلُ الْحَالِقَ". مسند أحمد ح ٢٤٧٧ (حسن لغيره). ومعنى "تستنزل الحالق": أي: تهدم الجبل الشاهق. وعَنْ جابر وابْن عَدِيٍّ أَيْضًا عَنْ أَبِي ذَرٍّ بِلَفْظ: «الْعَيْنُ تُدْخِلُ الرَّجُلَ الْقَبْرَ وَتُدْخِلُ الْجَمَلَ الْقِدْرَ». وَرَوَى أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ بِلَفْظِ: «الْعَيْنُ حَقٌّ وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابَقَ الْقَدَرَ سَبَقَتْهُ الْعَيْنُ".

وعن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أكثر من يموت من أمتي بعد قضاء الله وقدره بالعين» صحيح الجامع ح ١٢٠٦. (حسن).

وعَنْ عائشة، رضي الله عنها قَالَتْ: "كُنْتُ أَرْقِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْعَيْنِ، فَأَضَعُ يَدِي عَلَى صَدْرِهِ، وَأَقُولُ: امْسَحِ الْبَأْسَ رَبَّ النَّاسِ، بِيَدِكَ الشِّفَاءُ، لَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا أَنْتَ". مسند أحمد ح ٢٤٩٩٥. وإسناده صحيح. فاحذروا واحرصوا على ما ينفعكم.

نسأل الله تعالى أن يسعدنا في بيوتنا، وأن يبارك لنا في أزواجنا وأبنائنا، والحمد لله رب العالمين.

قصة دعاء ليلة النصف من شعبان وقيامها

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة الواهية التي اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ، وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق.

إعداد علي حشيش

أولا: أسباب ذكر هذه القصة

١) اغتر كثير من الناس بأحاديث تأمرهم بقيام ليلة النصف من شعبان، وأحاديث أخر تجعل هذا القيام بصلاة مخصوصة يسمونها «صلاة الخير»، ودعاء مخصوص يسمونه «دعاء ليلة النصف من شعبان».

٢) وزادهم غرورًا بقيام ليلة النصف من شعبان أن الغزالي -عفا الله عنا وعنه- ذكرها في كتابه «إحياء علوم الدين» (١/ ٢٠٣) قال: «وأما صلاة شعبان: فليلة الخامس عشر منه، يصلي مائة ركعة، كل ركعتين بتسليمة، يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة: «قل هو الله أحد» إحدى عشرة مرة، وإن شاء صلى عشر ركعات يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة مائة مرة قل هو الله أحد، فهذا أيضًا مروي في جملة الصلوات كان السلف يصلون هذه الصلاة ويسمونها: «صلاة الخير»، ويجتمعون فيها، وربما صلوها جماعة، روى عن الحسن أنه قال حدثني ثلاثون من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: أن من صلى هذه الصلاة في هذه الليلة نظر الله إليه سبعين نظرة، وقضى له بكل نظرة سبعين حاجة أدناها المغفرة». اهـ.

٣) وإن تعجب فعجب قول الغزالي: «روى عن الحسن أنه قال حدثني ثلاثون من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن من صلى هذه الصلاة في هذه الليلة نظر الله إليه سبعين نظرة، وقضى له بكل نظرة سبعين حاجة أدناها المغفرة». اهـ.

وهذه الفرية نبَّه عليها الإمام ابن القيم في «المنار المنيف» فصل (٦) فقال: «ونحن ننبه على أمور كلية، يعرف بها كون الحديث موضوعًا...»، ثم قال في التنبيه رقم (١٥): «ومنها أحاديث صلاة ليلة النصف من شعبان»... ثم ذكرها، ثم قال: «والعجب ممن شمَّ رائحة العلم بالسنن أن يغترَّ بمثل هذا الهذيان ويصليها، وهذه الصلاة وضعت في الإسلام بعد الأربعمائة ونشأت من بيت المقدس، فوضع لها عدة أحاديث». اهـ.

قلت: انظر إلى قول الإمام ابن القيم: «وهذه الصلاة وضعت في الإسلام بعد الأربعمائة،

فالصحابة رضي الله عنهم برآء مما نُسب إليهم، كما هو مبين من منشأ هذه الصلاة».

٤) لذلك قال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (١/١٠٤): «حديث صلاة ليلة نصف شعبان حديث باطل». اهـ.

قلت: وبعد أن بيّن الحافظ العراقي أن الحديث الذي ذكره الغزالي في «الإحياء» في صلاة ليلة النصف من شعبان حديث باطل، نبّه على حديث في قيام ليلة النصف من شعبان، وصيام نهارها فقال: «وأخرج ابن ماجه من حديث علي "إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها"، وإسناده ضعيف».

ثانيا: بيان درجة هذا الضعف:

١) يتوهم بعض من لا دراية له بالصناعة الحديثية، من قول الحافظ العراقي: «إسناده ضعيف» أن الضعف خفيف، والحديث يعمل به في فضائل الأعمال، وهذا يحتم علينا بيان درجة ضعفه؛ لأن باستقراء أهل هذه الصنعة لتخريج وتحقيق الحافظ العراقي لأحاديث الإحياء نجده قد يطلق الضعيف على الواهي والموضوع، وهذا ينطبق تمام الانطباق على هذا الحديث، واليك التخريج والتحقيق لبيان العلة والتي تستبين بها درجة الحديث.

٢) الحديث أخرجه الحافظ ابن ماجه في «السنن» (١/٤٤٤) ح (١٣٨٨١)، قال: حدثنا الحسن بن علي الخلال، حدثنا عبد الرزاق، أنبأنا ابن أبي سبرة، عن إبراهيم بن محمد، عن معاوية بن عبد الله بن جعفر عن أبيه عن علي بن أبي طالب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها، وصوموا نهارها، فإن الله ينزل فيها لغروب الشمس إلى سماء الدنيا فيقول: ألا من مستغفر لي فأغفر له، ألا من مسترزق فأرزقه، ألا من مبتلًى فأعافيه، إلا كذا إلا كذا حتى يطلع الفجر». اهـ.

٣) وهذا الحديث موضوع كذب مختلق مصنوع منسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم؛ وعلته ابن أبي سبرة قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٣/١٤٧): «أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي سبرة، من أهل المدينة كان ممن يروي الموضوعات عن الأثبات لا يحل كتابة حديثه، ولا الاحتجاج به بحال، وكان أحمد بن حنبل يكذبه». اهـ.

وقال الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٧/٢٩٥) (١٢/٢٢٠٠): «ما يرويه غير محفوظ وهو من جملة من يضع الحديث». وأخرج بسنده عن يحيى بن معين قال: ليس بشيء. وبسنده عن أحمد بن حنبل قال: «ليس بشيء كان يضع الحديث ويكذب»، وقال حدثنا الجنيدي قال: حدثنا البخاري قال: «أبو بكر بن أبي سبرة منكر الحديث».

وقال النسائي: «متروك الحديث». اهـ.

وبهذا يتبين أن أبا بكر بن أبي سبرة: ليس بشيء، متروك الحديث، منكر الحديث كان يضع الحديث ويكذب لا يحل كتابة حديثه، ولا الاحتجاج به بحال.

٤) الاستنتاج: نستنتج أن الحديث لا يصح موضوع، وما بني عليه من أمور محدثة فهو مردود منها:

أ) قيام ليلة النصف من شعبان بصلاة مخصوصة.

ب) صيام نهارها.

ج) الاجتماع في المساجد من مغرب ليلة النصف من شعبان.

ثالثا: دعاء ليلة النصف من شعبان:

لقد ذكر الشيخ حسنين محمد مخلوف -عفا الله عنا وعنه-: «الدعاء ليلة النصف من شعبان» في كتابه المسمى «الكلمات الحسان في فضائل ليلة النصف من شعبان». بقلم العلامة الشيخ حسنين محمد علي مخلوف العدوي المالكي الأزهري مفتي الديار المصرية السابق. وعضو هيئة كبار العلماء- ط: مكتبة مصطفى البابي الحلبي سنة ١٩٦٤م. ونحن لا نتناول اسمه ولا رسمه بل ذكرناه بما نشره، وإن الذي يهمنا هو الدفاع عن سنة نبينا. ففي كتابه (ص ١٤) تحت عنوان: «دعاء ليلة النصف من شعبان» قال: «وقد جرت عادة عامة المسلمين بالاجتماع في المساجد هذه الليلة لإحيائها بالدعاء والابتهال إلى الله تعالى اغتنامًا لفضلها المأثور فيدعون بهذا الدعاء».

«اللهم يا ذا المن ولا يمن عليه، يا ذا الجلال والإكرام، يا ذا الطول والإنعام، لا إله إلا أنت ظهر

اللاجئين، وجار المستجيرين، وأمان الخائفين، اللهم إن كنت كتبتني عندك في أم الكتاب شقيًا أو محرومًا، أو مطرودًا أو مقترًا علي في رزقي، فامح اللهم بفضلك شقاوتي، وحرماني، وطردي، واقتار رزقي، واثبتني عندك في أم الكتاب سعيدًا مرزوقًا موفقًا للخيرات، فإنك قلت وقولك الحق في كتابك المنزل، على لسان نبيك المرسل: «يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ» (الرعد: ٣٩)».

إلهي بالتجلي الأعظم في ليلة النصف من شهر شعبان المكرم، التي يفرق فيها كل أمر حكيم ويبرم، أسألك أن تكشف عنا من البلاء ما نعلم، وما لا نعلم، وما أنت به أعلم، إنك أنت الأعز الأكرم».

وصلى الله على محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم. اهـ.

رابعا: أصل هذا الدعاء:

عندما ذكر الشيخ حسنين محمد مخلوف «دعاء ليلة النصف من شعبان» وهو دعاء لا أصل له حاول أن يبحث له عن أصل فذكر في كتابه هذا ص (١٥) تحت عنوان: «أصل هذا الدعاء» فنقل عن الألوسي من تفسيره «روح المعاني» (١٦٠/٧) فقال: «قال العلامة الألوسي في تفسير آية «يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ»: أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه».. عن ابن مسعود قال: «ما دعا عبد قط بهذه الدعوات إلا وسع عليه في معيشته: يا ذا المن ولا يمن عليه، يا ذا الجلال والإكرام، يا ذا الطول، لا إله إلا أنت ظهر اللاجئين، وجار المستجيرين، ومأمن الخائفين، إن كنت كتبتني عندك في أم الكتاب محرومًا مقترًا عليّ رزقي، فامح حرماني وتقتير رزقي، وأثبتني عندك سعيدًا موفقًا للخير، فإنك تقول في كتابك الذي أنزلته «يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ»».

خامسا: التحقيق:

١) لقد نقل الشيخ مخلوف مفتي الديار المصرية السابق هذا الدعاء عن العلامة الألوسي، ونقله الألوسي عن الإمام الحافظ أبي بكر بن أبي شيبة، وكلاهما في نقليهما لم يحقق هذا الخبر المنسوب لابن مسعود خاصة أنه موقوف لفظًا مرفوع حكمًا لتعلقه بأمر غيبي وهو المحو والإثبات من أم الكتاب وهو اللوح المحفوظ، وهذا أمر منكر كما بينه الشيخ ابن عثيمين في «فتاوى العقيدة» رقم (٣٢٧)، ط: مكتبة السنة قال: «أم الكتاب هو اللوح المحفوظ لأن جميع ما يكتب مرجعه إلى اللوح المحفوظ وما فيه لا يغير ولا يتبدل، ولا يقبل المحو والإثبات، وأن المحو والإثبات في صحف الملائكة الكرام الكاتبين فكان لا بد من التحقيق لبيان حقيقة هذا الخبر المنكر المنسوب للصحابي عبد الله بن مسعود».

٢) هذا الخبر أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة في «المصنف» (٥٣٩/٩) ح (٣٠١٢٨) قال: «حدثنا أبو معاوية، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن القاسم عن عبد الرحمن عن عبد الله بن مسعود قال: «ما دعا عبد قط بهذه الدعوات...» الحديث.

هذا الخبر تالف فيه علتان: طعن في الراوي، وسقط في الإسناد:

العلة الأولى: عبد الرحمن بن إسحاق، قال الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (٣٧٣٧/٩٩/١١): «عبد الرحمن بن إسحاق الواسطي روى عن القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، وآخرين، وروى عنه أبو معاوية محمد بن خازم الضرير، وآخرون.

قال أبو طالب عن أحمد بن حنبل: «ليس بشيء منكر الحديث». وقال عباس الدوري عن يحيى بن معين: «ضعيف ليس بشيء». وقال أبو حاتم: «ضعيف الحديث منكر الحديث لا يحتج به».

وقال البخاري: «فيه نظر». اهـ.

وبهذا يتبين: أن عبد الرحمن بن إسحاق الواسطي: «ليس بشيء-منكر الحديث لا يحتج به في أدنى المنازل وأردئها».

العلة الأخرى: السقط الخفي: القاسم بن عبد الرحمن لم يدرك جده ابن مسعود كذا في «المراسيل» (٦٤١)، لابن أبي حاتم.

قلت: وبهذا لا يصح هذا الخبر المنكر، والصحابي الجليل عبد الله بن مسعود بريء من هذا الدعاء المنكر.

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

درر البحار في بيان ضعيف الأحاديث القصار

علي حشيش

٩٥٤) «خمس ليال لا تُرد فيهن الدعوة: أول ليلة من رجب، وليلة النصف من شعبان، وليلة الجمعة، وليلتا العيدين».

الحديث لا يصح: أورده الإمام السيوطي في «مخطوطة درر البحار في الأحاديث القصار» (ص ١/٤٠)، مكتبة الحرم النبوي (الحديث) رقم المخطوطة (٢١٣/١٠٧).

وقال: «فر عن أبي أمامة». قلت: «فر» ترمز إلى «مسند الفردوس» للديلمي، وهذا تخريج بغير تحقيق فيتوهم من لا دراية له أن الحديث صحيح، وهو كما سنبين حديث موضوع كذب مختلق مصنوع.

فالحديث أخرجه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» ح(١٥٥٦- الغرائب الملتقطة).

قال: أخبرنا عبدوس بن عبد الله إذنًا، أخبرنا عم والدي علي بن عبد الله بن عبدوس، أخبرنا ابن جعفر، حدثنا علي بن محمد بن مهرويه، حدثنا إبراهيم بن محمد بن مرة الصنعاني، حدثنا عبد القدوس بن مرداس، حدثنا إبراهيم بن أبي يحيى، عن أبي قعنب، عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خمس ليال لا ترد فيهن الدعوة...» الحديث.

وأخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٠/٤٠٨/٩٦٨). ط: دار الفكر: بسنده عن إبراهيم بن محمد بن مرة الصنعاني به.

وعلته: إبراهيم بن أبي يحيى. قال الإمام الذهبي في «الميزان» (١/٥٧/١٨٩): «هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى الأسلمي المدني». اهـ.

قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١/١/١٢٥): «سمعت أبي يقول: إبراهيم بن أبي يحيى كذاب، متروك الحديث، ترك ابن المبارك حديثه». اهـ.

وقال ابن أبي حاتم قرئ على العباس بن محمد الدوري من يحيى بن معين أنه قال: «إبراهيم بن يحيى ليس بثقة كذاب»، ونقل بسنده عن يحيى بن سعيد القطان قال: «سألت مالك بن أنس عن إبراهيم بن أبي يحيى أكان ثقة؟ قال: لا، ولا ثقة في دينه». اهـ.

قلت: ونقل الإمام الذهبي في «الميزان» أقوال هؤلاء الأئمة وأقرها، ونقل عن الإمام أحمد أنه قال: «قدري جهمي كل بلاء فيه ترك الناس حديثه». اهـ.

فالحديث موضوع كذب مختلف مصنوع.

٩٥٥) «من مات مريضًا مات شهيدًا، ووقي فتنة القبر، وغدي وريح عليه برزقه من الجنة».

الحديث لا يصح: أخرجه الحافظ ابن ماجه في «السنن» ح (١٦١٥) من حديث أبي هريرة وعلته إبراهيم بن أبي يحيى، وأخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٣/٢١٦-٢١٧) وقال: «لا يصح ومداره علي إبراهيم وقد كانوا يدلسونه؛ لأنه ليس بثقة، وهو إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى الأسلمي». اهـ.

وهو ليس بثقة كذاب متروك الحديث قدري جهمي، كل بلاء فيه، ترك الناس حديثه كما بينا آنفًا. فالحديث موضوع.

الحلقة 6

نماذج تُحتذى من أعلام وأئمة أهل السنة

ثانيًا: معتقد (الإمام مالك) إمام دار الهجرة (ت ١٧٩هـ) في توحيد الصفات

إعداد **أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي**
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد: فالإمام مالك هو: "شيخ الإسلام وحُجة الأمة"؛ و"عالم المدينة في زمانه؛ بعد: رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصاحبيه وزيد بن ثابت وعائشة، ثم ابن عمر، ثم سعيد بين المسيب، ثم عبيد الله بن عمر".

أ- نبذة عن نسبه ومكانته:

وهو: أبو عبد الله مالكُ بنُ أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي، ينتهي نسبه إلى ذي أصبح، وهي قبيلة من اليمن، قدم أحد أجداده منها إلى المدينة وسكنها، وكان جده أبو عامر من أصحاب رسول الله شهد معه المغازي كلها ما عدا غزوة بدر، وهو أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة وإليه تنسب المالكية، أخذ العلم عن (نافع) مولى ابن عمر، وعن (ابن شهاب الزهري)، وأما شيخه في الفقه فهو (ربيعة بن عبد الرحمن) المعروف بربيعة الرأي.. كان مالك إمامًا في الحديث، وكان مجلسه مجلس وقار وحلم، وكان رجلًا مهيبًا، حدَّث عنه كثير من الأئمة، منهم: ابن المبارك والأوزاعي والليث والشافعي، قال البخاري: أصح الأحاديث: عن مالك عن نافع عن ابن عمر، وكان يعطي لما جرى عليه العمل في المدينة أهمية كبرى، لاسيما عمل الأئمة وفي مقدمتهم الشيخان: أبو بكر وعمر رضي الله عنه.

حُمل إلى جعفر بن سليمان العباسي والي المدينة، فضربه سبعين سوطًا حتى أصيب بعجز شديد في ذراعه، لأنه أفتى بعدم لزوم طلاق المكره، وهي فتوى ذات وجه سياسي، لأنها تسري إلى أيمان البيعة التي أحدثوها، وكانوا يُكرهون الناس على الحلف بالطلاق عند المبايعة، فرأوا أن فتوى مالك تنقض البيعة حتى للخليفة أبي جعفر المنصور، وكان مالك قد استند في إبطال يمين المكره على حديث: (رفع عن أمتي الخطأ والنسيان

وما أكرهوا عليه).

غير أن الخليفة المنصور أحس بمرارة ما فعل أو بما وقع لـ(مالك) بعلمه، فأرسل إليه ليعتذر وليتنصل مما فعله واليه الذي عزله تطييبًا لخاطر مالك، وأمر أن يؤتى به إلى بغداد محمولًا على جمل، ثم كان أن التقاه في موسم الحج سنة ١٦٣هـ، واجتمع به في منىً، وطلب منه أن يدوّن علمه في كتاب يتجنب فيه شدائد (عبد الله بن عمر) ورُخص (عبد الله بن عباس) وشواذ (عبد الله بن مسعود)، وأن يقصد إلى أواسط الأمور وما اجتمع عليه من الأئمة والصحابة، وأمر له بألف دينار وكسوة، فصنف مالك الموطأ وهو أول كتاب ظهر في الفقه الإسلامي، ومن كتبه: (المدونة)، وهي مجموعة رسائل من فقه مالك جمعها تلميذه أسد بن الفرات.

أقام مالك بعد ذلك بالمدينة ولم يرحل منها إلى بلد آخر، وكان الرشيد قد وجه إليه ليأتيه فيحدثه، فقال: (العلم يؤتى)، فقصده الرشيد إلى منزله، وجلس بين يديه فحدّثه.

وكان أكثر من رحل إليه: المصريون والمغربيون من أهل إفريقية والأندلس، وهم الذين نشروا مذهبه في شمال أفريقية وفي الأندلس، ثم ظهر مذهبه في البصرة وبغداد وخراسان بواسطة فقهاء رحلوا إليه من تلك البلاد..

وتوفي في المدينة ودفن بالبقيع عن عمر يناهز الستة والثمانين عامًا بعد رحلة عطاء وفترة وفاء، عاشها لدينه لم يخش خلالها في الله لومة لائم.

ب- من أقواله وحكمه المأثورة

ورد عن الإمام مالك كثيرٌ من الأقوال المأثورة والحكم المشهورة في العلم والعمل، ومما جاء عنه في العلم وآداب المتعلمين قوله: «ليس العلم بكثرة الرواية، وإنما العلم نور يضعه الله في القلوب»، وقوله: «العلم نفورٌ لا يأنس إلا بقلب تقي خاشع»، وقوله: «ينبغي للرجل إذا خُوّل علمًا وصار رأسًا يشار إليه بالأصابع، أن يضع التراب على رأسه، ويمقت نفسه إذا خلا بها، ولا يفرح بالرياسة، فإنه إذا اضطجع في قبره وتوسّد التراب ساءه ذلك كلّه".

كما ورد عنه أقوالٌ في أحوال القلوب والسلوك وتربية النفس، منها قوله: «من أحب أن تفتح له فرجةٌ في قلبه فليكن عمله في السر أفضل منه في العلانية»، وقوله: «الزهد في الدنيا طيب المكسب وقصر الأمل"، وقوله: «إن كان بغيُك منها ما يكفيك، فأقلُّ عيشها يُغنيك، وما قل وكفى خير مما كثر وألهى»، وقوله لخالد بن حميد: «عليك بمجالسة من يزيد في علمك قوله، ويدعوك إلى الآخرة فعله، وإياك ومجالسة من يعللك قوله، ويعيبك دينه، ويدعوك إلى الدنيا فعلُه"، وكان الإمام مالك يكره كثرة الكلام ويعيبه، ويقول: «لا يوجد إلا في النساء والضعفاء".

جـ- عقيدة الإمام مالك في توحيد الله في صفاته وأفعاله:

١) سئل - رحمه الله- عن الكلام والتوحيد: فقال: «محال أن يُظنّ بالنبي أنه علم أمّته الاستنجاء، ولم يعلمهم التوحيد، والتوحيد.. ما عُصم به المال والدم" كذا في ذم الكلام للهروي.

٢) وأخرج الدارقطني في الصفات ص٧٥ والآجري في الشريعة ص٣١٤ والبيهقي في الاعتقاد ص١١٨ عن الوليد بن مسلم قال: «سألت مالكًا والثوري والأوزاعي والليث بن سعد عن الأخبار في الصفات، فقالوا: (أمرُّوها كما جاءت)»، وهذا منهم إجماع، فـ(مالك) في وقته إمام أهل المدينة، و(الثوري) إمام الكوفة، و(الأوزاعي) إمام أهل دمشق، و(الليث) إمام أهل مصر، وهم من كبار أتباع التابعين، وقد حكى الإجماع من بعدهم (محمد بن الحسن) فقيه العراق عليهم جميعًا من الله سحائب الرحمة والرضوان.

وفي تفسير عباراتهم يقول صاحب (الحموية): "فقولهم رضي الله عنهم: (أمروها كما جاءت) رد على المعطلة، وقولهم: (بلا كيف) رد على الممثلة"، وقال صاحب: (اجتماع الجيوش): "ومراد السلف بقولهم: (بلا كيف)

هو نفي للتأويل، فإنه التكييف الذي يزعمه أهل التأويل، فإنهم هم الذين يثبتون كيفية تخالف الحقيقة، فيقعون في ثلاثة محاذير: نفي الحقيقة، إثبات التكييف بالتأويل، وتعطيل الرب تعالى عن صفته التي أثبتها لنفسه، وأما أهل الإثبات: فليس أحد منهم يكيف ما أثبته الله تعالى لنفسه" ا.هـ.

٣) وقال ابن عبد البر في التمهيد ٢/٤٢: «سُئل مالك أيُرى الله يوم القيامة؟ فقال: نعم يقول عز وجل: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (القيامة: ٢٢)، وقال لقوم آخرين: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ (المطففين: ١٥)».

٤) وأورد القاضي عياض في (ترتيب المدارك) عن ابن نافع وأشهب المصري، سألا: "﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ ينظرون إلى الله؟ قال: نعم بأعينهم هاتين؛ فقلت له: فإن قومًا يقولون لا ينظر إلى الله، وأن «ناظرة» بمعنى: (منتظرة إلى الثواب)، قال: (كذبوا بل يُنظر إلى الله، أما سمعت قول موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ (الأعراف: ١٤٣)، أفترى موسى سأل ربه محالاً؟ فقال الله: «لن تراني»، أي: (في الدنيا)؛ لأنها دار فناء، ولا يُنظرُ ما يبقى بما يفنى، فإذا صاروا إلى دار البقاء، نظروا بما يبقى إلى ما يبقى"، وفيه الرد الفاحم والدليل العقلي القاطع ناهيك عن النقلي الدامغ، على الأشعرية في عدم إثباتهم رؤية الله ذاهبين إلى أنها: رؤية لا من جهة، وأنها لا تعدو أن تكون مزيد انكشاف ومعرفة.

٥) وأخرج أبو نعيم في (الحلية ٦/٣٢٦)، وآخرون عن جعفر بن عبد الله وغيره: «كنا عند مالك فجاءه رجل فقال: يا أبا عبد الله، «الرحمن على العرش استوى»، كيف استوى؟.. فما وجدَ مالك - أي: غضب - من شيء ما وَجدَ من مسألته، فنظر إلى الأرض وجعل ينكت بعود في يده حتى علاه الرحضاء - أي: العرق - وأطرق القوم، ثم رفع رأسه ورمى بالعود وقال: (الكيف غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة وأظنك صاحب بدعة، وأمر به فأخرج».

وفي رواية لابن وهب أخرجها الذهبي في (العلو) ص١٠٣ وهي بمختصره للألباني ص١٤١: "وأخذته الرحضاء، ثم رفع رأسه فقال: (استوى كما وصف نفسه، ولا يقال: كيف؟، وكيف عنه مرفوع، وأنت صاحب بدعة.. أخرجوه)".

وعلق الذهبي على ذلك يقول: "هذا ثابت عن مالك، وتقدم نحوه عن (ربيعة) شيخ مالك، وهو قول أهل السنة قاطبة: أن كيفية الاستواء لا نعقلها بل نجهلها، وأن استواءه معلوم كما أخبر في كتابه، وأنه كما يليق به، لا نعمق ولا نتحذلق، ولا نخوض في لوازم ذلك نفيًا ولا إثباتًا، بل نسكت ونقف كما وقف السلف، ونعلم أنه لو كان له تأويل لبادر إلى بيانه: الصحابة والتابعون، ولما وسعهم إقراره وإمراره والسكوت عنه، ونعلم يقينًا مع ذلك أن الله لا مثل له في صفاته ولا في استوائه ولا في نزوله" ا.هـ.

٦) وأخرج أبو نعيم في (الحلية ٦/٣٢٥) واللالكائي في (شرح أصول اعتقاد أهل السُّنة والجماعة ١/٢٤٩) والقاضي عياض في (ترتيب المدارك ٢/٤٤) عن يحيى بن الربيع قال: «كنت عند مالك ودخل عليه رجل فقال، ما تقول فيمن يقول القرآن مخلوق؟، فقال مالك: (زنديق؛ فاقتلوه)، فقال: يا أبا عبد الله إنما أحكي كلامًا سمعته، فقال: (لم أسمعه من أحد إنما سمعته منك)، وعظم هذا القول».

٧) وأخرج ابن عبد البر عن عبد الله بن نافع قال: «كان مالك يقول: (من قال القرآن مخلوق يوجع ضربًا ويحبس حتى يتوب)» كذا في السنة لعبد الله بن أحمد ص٥.. وقد أخرجه الحافظ الذهبي في (العلو) ص١٠٤ عن ميمون البكري، بلفظ: "من قال: (القرآن مخلوق) يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه".

وفي تمام ذلك أورد له الذهبي بنفس المصدر قوله: "القرآن كلام الله، وكلام الله منه، وليس

من الله شيء مخلوق".. فما بال الأشعرية يقولون: إنه خُلق في اللوح المحفوظ، ثم أخذه جبريل فتلقاه عنه النبي عليهما السلام، فهو عبارةٌ وحكايةٌ عنه؟.

٨) كما أخرج أبو داود في (مسائل الإمام أحمد ص٢٦٣) وآخرون، عن عبد الله بن نافع قال: «قال مالك: الله في السماء وعلمه في كل مكان، لا يخلو منه شيء».

وبما سبق يعلم أن الإمام مالك يثبت كل ما تعطله الأشعرية وتنفيه عن الله من: رؤية، وفوقية، واستواء، وأن القرآن بلفظه هو كلام الله إلى غير ذلك من سائر صفاته تعالى وأفعاله، وعلى كل من ينتسب لـ(مالك) إذًا إن كان صادقًا، أن يتبعه في معتقده على نحو ما يتبعه في مذهبه الفقهي.

د- وفي النهي عن علم الكلام والخصومات في الدين، ورد أن مالك:

٩) «كان يقول: (الكلام في الدين أكرهه، ولم يزل أهل بلدنا يكرهونه وينهون عنه، نحو الكلام في رأى جهم والقدر، وكل ما أشبه ذلك، ولا يحب الكلام إلا فيما تحته عمل، فأما الكلام في دين الله وفي الله، فالسكوت أحب إلي لأني رأيت أهل بلدنا ينهون عن الكلام في الدين إلا فيما تحته عمل)» كذا ذكره ابن عبد البر في (جامع بيان العلم وفضله) ص٤١٥.

١٠) كما ذكر أبو نعيم في الحلية ٣٢٥/٦ من طريق عبد الله بن نافع، قوله: «لو أن رجلًا ركب الكبائر كلها بعد ألا يشرك بالله؛ ثم تخلى من هذه الأهواء والبدع – وذكر كلامًا – دخل الجنة».

١١) وذكر الهروي في (ذم الكلام) من طريق إسحاق بن عيسى، قوله: «من طلب الدين بالكلام تزندق، ومن طلب المال بالكيمياء أفلس، ومن طلب غريب الحديث كذب».

١٢) وأخرج الخطيب في (شرف أصحاب الحديث) ص٥ وغيره، عن إسحاق بن عيسى قال: «سمعت مالكًا يعيب الجدال في الدين ويقول: كلما جاءنا رجل أجدل من رجل، أرادنا أن نرد ما جاء به جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم»، وفي لفظ: "تركنا ما نزل به جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم لجدله".

١٣) وأخرج الهروي في (ذم الكلام) عن عبد الرحمن بن مهدي قال: «دخلت على مالك وعنده رجل يسأله فقال: (لعلك من أصحاب عمرو بن عبيد، لعن الله عمرو بن عبيد فإنه ابتدع هذه البدعة من الكلام، ولو كان الكلام علمًا لتكلم فيه الصحابة والتابعون كما تكلموا في الأحكام والشرائع)».

١٤) كما أخرج بنفس المصدر عن أشهب بن عبد العزيز قال: «سمعت مالكًا يقول: (إياكم والبدع)، قيل يا أبا عبد الله، وما البدع؟ قال: (أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته، ولا يسكتون عمّا سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان)».

١٥) وأخرج أبو نعيم في الحلية ٣٢٤/٦ عن الشافعي قال: «كان مالك بن أنس إذا جاءه بعض أهل الأهواء قال: أما إني على بينة من ربي وديني، وأما أنت فشاكٌ فاذهب إلى شاكٍ مثلك فخاصمه».

١٦) وروى ابن عبد البر في جامع البيان ص ٤١٧ عن ابن خويز منداد المصري المالكي قال في كتاب الإجارات: «قال مالك: (لا تجوز الإجارات في شيء من كتب الأهواء والبدع والتنجيم)، وذكر كتبًا ثم قال: (وكتب أهل الأهواء والبدع عند أصحابنا؛ هي كتب أصحاب الكلام من المعتزلة وغيرهم، وتفسخ إجارة في ذلك)».

١٧) وعنه كما في السِير قوله: "الجدال في الدين يُنشئ المراء، ويذهب بنور العلم، ويقسّي القلب، ويورث الضِغن"

وبعد: فهذه لمحات وأقوال ومواقف لإمام دار الهجرة، حريّةٌ بالاعتبار وبأن تحتذى.. لكن يبقى السؤال: أين الأشعرية والمالكية منهم بالذات من كل هذا؟!.

والى لقاء، والحمد لله رب العالمين.

فاحشة كبرى

إعداد الشيخ: عبده أحمد الأقرع

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى.

أما بعد: فإن سعادة الأمة وعزتها وكرامتها تبنى على فضائلها وشيمها وأخلاقها. فمتى استقامت الصفات والأخلاق استقامت أحوال الأمة، وتمكنت من السيطرة على مصالحها، وجلب الخير لها، ودفع الأذى عنها، أما إذا تدهورت الأخلاق وانحطت المكارم وذهبت المحاسن، وجاهرت بالذنوب والسيئات كانت عُرضة للفناء والهلاك.

وقد قص علينا رب العزة عز وجل من أخبار الأولين ما حل بهم لما عصوا أمر ربهم، ليكون فيها عبر وعظة ومزدجر، وذكرى «لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ» (ق:٣٧). قال تعالى: «أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ» (الأنعام: ٦).

إلا وإن من أخطر الذنوب على الفرد، وعلى الأسرة، وعلى المجتمع ذنب عظيم، وجريمة شنعاء، وفاحشة كبرى فيها الخنا والردى، أتدرون ما هي؟ جريمة الزنا، بل إن الزنا هو من أخطر المعاصي وأكبرها فسادًا، وأشنعها إجرامًا، فيه جرأة على رب العالمين، بانتهاك محارمه، وتعدي حدوده ومخالفة أمره ونهيه، وفيه خيانة للمجتمع بالتعدي على أخلاقه، وفضائله، واختلاط أنسابه، وخيانة للفراش والأسرة بانتهاك حرمته والتعدي على حقوقه، وفيه خيانة للمرأة وغدر لها، وإراقة ماء الحياء من وجهها، وتمزيق كساء العفة عنها، وفيه هدم بيت المرأة وتحطيم مستقبلها الدنيوي وجعلها عالة على المجتمع وعلى أسرتها؛ لأن الرجال لا يرغبون في الزواج منها، ومن ذا الذي يتزوج بزانية؟ وقد قال الله عز وجل: «ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ» (النور: ٣).

الزنا: جريمة على النطفة توضع في رحم حرام، وتنسب لغير نسبها، وتورث غير مورثها، ويحرم عليها غير محارمها، وقد توضع في دار الحضانة، لا أم لها ولا أب، عالة على الأمة مجردة من عطف الأبوة وحنان الأمومة، وقد توأد في أي طور من أطوار حياتها ظلمًا وعدوانًا وهي لا ذنب لها وإنما للتخلص من شخصيتها. قال الله عز وجل: «وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ⑧ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ» (التكوير: ٨-٩).

الزنا عقوبته عاجلة وآجلة، فإذا شاع في قوم جلب لهم سخط الله وغضبه وعقابه، وكان سببًا في انتشار الأسقام والأوجاع التي لم تكن فيمن قبلهم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا ظهر الزنا والربا في قوم فقد أحلوا بأنفس عذاب الله» (صحيح الترغيب: (٦٩٢)).

وقال صلى الله عليه وسلم: «يا معشر المهاجرين: خمس إذا ابتليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركوهن؛ لم تظهر الفاحشة في قوم قط، حتى يعلنوا بها، إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا» (صحيح الجامع رقم (٧٩٧٨)).

كما أخبر صلى الله عليه وسلم أن ظهور الزنا من أمارات خراب العالم، وهو من أشراط الساعة. عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لأحدثنكم حديثا لا يحدثكم أحد بعدي،

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من أشراط الساعة أن يقل العلم، ويظهر الجهل، ويظهر الزنا، ويقل الرجال، وتكثر النساء، حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد» (البخاري: (٥٢٣١/٣٣٠/٩)، ومسلم (٤/٢٠٥٦/٢٦٧١).

ولما كانت مفسدة الزنا من أعظم المفاسد، كانت عقوبته في الدنيا أقسى العقوبات، قال الله تعالى: «الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ» (النور:٢).

وأما في الآخرة مضاعفة العذاب.

قال الله تعالى: «وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا» (الفرقان: ٦٨-٦٩).

أما إذا كان سبق له الزواج وزنى فعقوبته أشد: فهو حلال الدم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة». (البخاري (٦٤٨٤)، ومسلم (١٦٧٦)). والثيب: من سبق له الزواج، ويطلق على الرجل والمرأة).

إن جريمة تؤدي إلى القتل لجريمة بالغة تعبر عن كون مرتكبها غير صالح للبقاء في المجتمع: فهو جرثومة فاسدة يجب القضاء عليها لا تفسد المجتمع كله.

ومن صور عذاب الزناة ما جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم وفيه: «فانطلقنا فأتينا على مثل التنور فاطلعنا فيه، فإذا فيه رجال ونساء عراة، وإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا. فقلت له: من هؤلاء؟ فقال: هم الزناة والزواني» (البخاري: ١٣٨٦). معنى: ضوضوا: أي: صاحوا. ومعنى: التنور: الفرن.

بالإضافة إلى هذه العقوبات فإن الزنا فيه مفاسد عظيمة يفسد القلب والفكر، ويوجب الذل والعار، ويضيع النسل ويخلط الأنساب، وينشر الأمراض التناسلية: فهو فساد في الدين والدنيا والفرد والمجتمع، ويوجب الفقر، ويكسو صاحبه سواد الوجه وثوب المقت بين الناس.

ولعظم هذه الجريمة وخطرها على الفرد والمجتمع بل على الأمة كلها، حذر الله تعالى من قربها. قال الله تعالى: «وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا» (الإسراء: ٣٢) والقول الكريم: «ولا تقربوا» آكد- لا شك- وأبلغ في الدلالة من «ولا تزنوا» لما يحمل من تحذير حاسم من الاقتراب من منطقة هي في الأمور الحسية منطقة خطر كالمواد المشتعلة «ممنوع الاقتراب».

مثال ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: «فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه». (البخاري: (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩)). ومعنى: استبرأ: طلب البراءة لدينه وعرضه من النقص والشين. وفيه دليل على أن طلب البراءة للعرض ممدوح كطلب البراءة للدين.

علاج ناجع لهذه الجريمة المنكرة:

وقد عالج الدين هذه الجريمة المنكرة بالعلاج الناجح وقاية من الوقوع فيه فقطع كل سبب يوصل إليه وسد كل نافذة تطل عليه. فأمر الله تعالى بغض البصر قال تعالى: «قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ» (النور: ٣٠- ٣١).

وفي تقديم الأمر بغض البصر على الأمر بحفظ الفروج إشارة إلى أن غض البصر من أسباب حفظ الفروج، وعدم الغض من أسباب عدم حفظ الفروج. وقد بالغ رسول الله صلى الله عليه وسلم في التحذير من النظرة حتى عدها من الزنى.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كتب على ابن آدم نصيبه من الزنى مدرك ذلك لا محالة. فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطى، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج ويكذبه». (مسلم: (٤/٢٠٤٧)).

وحرم على المرأة أن تسافر وحدها من غير محرم يحرسها ويحميها ويغار عليها ويدافع عنها، وكان ذلك العمل علامة الإيمان الكامل واليقين الصادق. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«لا يحل لامـرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم، إلا مع ذي محرم» (مختصر مسلم (٦٤٦).

وقال صلى الله عليه وسلم: «لا يحل لامرأة أن تسافر إلا ومعها ذو محرم منها» (صحيح الجامع (٧٦٤٦).

كذلك حرم على الرجال خلوتهم بالنساء، وحرم على النساء خلوتهن بالرجال؛ فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم». (البخاري: (٥٢٣٣)، ومسلم: (١٣٤١).

وكذلك حـرم دخـول الـرجـال على النساء الأجنبيات. فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إياكم والدخول على النساء» فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحمو؟ قال: «الحمو الموت» (البخاري (٥٢٣٢)، ومسلم (٢١٧٢). والحمو: قريب الزوج كأخيه، وابن أخيه، وابن عمه.

كذلك حرم أن تمشي المرأة في الطرقات وتغشى المجتمعات بوضع يغري مرضى القلوب؛ فقد قال الله عز وجل: «وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ» (النور: ٣١).

وقد أرشد رسول الله صلى الله عليه وسلم المرأة أين تمشي في الطريق. فعن أبي أسيد الأنصاري، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو خارج من المسجد، فاختلط الرجال مع النساء في الطريق، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للنساء: «استأخرن فإنه ليس لكن أن تحققن الطريق، عليكن بحافات الطريق». فكانت المرأة تلتصق بالجدار حتى إن ثوبتها ليتعلق بالجدار من لصوقها به. (صحيح سنن أبي داود (٥٢٧٢).

والمعنى: أي: ليس لكنَّ السيرُ وسط الطريق، عليكن بحافة الطريق. قلت: فأين أخواتنا اليوم من هذا التوجيه النبوي؟

كذلك حـرم التـبرج؛ فعن أبـي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كـأذنـاب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا» (مسلم (٢١٢٨).

كذلك حرم على المـرأة أن تتعطر وتمر على الرجال الأجانب؛ فعن أبي موسى رضي الله عنه عـن النبي صلى الله عليه وسلم أنـه قـال: «كـل عين زانية، والمـرأة إذا استعطرت فـمـرت بالمجلس فهي كـذا وكـذا». يعني: زانـيـة. (الـبـخـاري (٤/٧٢/١٨٦٢)، ومسلم (٢/٩٧٨/١٣٤١)).

وعن موسى بن يسار قال: مرت بأبي هريرة امرأة وريحها تعصف فقال لها: أين تريدين يا أمة الجبار؟ قالت: إلى المسجد. قال: وتطيبت؟ قالت: نعم. قال: فارجعي فاغتسلي. فإنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا يقبل الله من امـرأة صلاة خرجت إلى المسجد وريحها تعصف حتى ترجع فتغتسل» (صحيح الترغيب (٢٠٢٠)).

وكذلك أوجب الاستئذان عند دخول البيوت؛ حفظًا للحرمات ومنعًا من الاطـلاع على العورات؛ قال الله تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَاۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ» (النور: ٢٧-٢٨).

وحـذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من مصافحة المرأة الأجنبية؛ فعن معقل بن يسار رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لأن يُطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له». (صحيح الجامع رقم (٥٠٤٥).

وكذلك البعد عن مشاهدة الأفلام والمسلسلات الخليعة الماجنة، وكذا عدم استماع الأغاني المحرمة الفاحشة التي تصف المرأة ومحاسنها.

بهذا المنهج الـذي ذكـرناه على عجل، متى التزمنا به نستطيع أن نضيِّق منافذ هذه الجريمة، ونقضي على هـذا الـداء ويعيش الناس حياة الطهر والنقاء. فقد قيل: "الوقاية خير من العلاج"، والمسببات معلقة بأسبابها. والله وحده الهادي إلى سواء السبيل.

حلاوة الإيمان: معناها وأسبابها وبعض موانعها

إعداد د. صالح بن عبد الله بن حميد
إمام وخطيب المسجد الحرام

الحمد لله رب البريات، ذي العرش رفيع الدرجات، أحمده-سبحانه- وأشكره، باسط الخيرات، وواهب البركات، وهو الذي يَقبَل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات، لا إله إلاّ الله وحده لا شريكَ له، أهل الحمد والمجد والمَكرُمات، وأشهد أنَّ سيدنا ونبيَّنا محمدًا عبد الله ورسوله، تمَّت به النعمةُ، وكُشفت به الغمةُ، وتنزَّلت به الرحماتُ، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله النُّخَب السادات، وأصحابه أُولي السبق والمقامات، والتابعين ومن تبعهم بإحسان، ما دامت الأرض والسماوات.

أما بعدُ: فأوصيكم-أيها الناس- ونفسي بتقوى الله؛ فاتقوا الله-رحمكم الله-، واعلموا أن مَنْ ظنَّ بربه خيرًا فلن يخيب ظنُّه، ومَنْ شكر نعمه زاده من فضله، ومَنْ توكل عليه كفاه وهو حسبه، ومن كان الله معه ذل أعداؤه، ومن تخلى الله عنه لم ينفعه أقرباؤه ولا أصدقاؤه، فاجتهدْ-يا عبدَ الله- في فعل ما يسرُّك من الخير، فالأيام تَذهَب ولا تعود، واعلم أن صانعِي المعروف يعيشون في خير لم يسألوه، ويسلموا من شر لم يتَّقوه، ويُرفع لهم دعاء لم يسمعوه، وحسبُك-حَفظَك الله- ألاَّ يراك الله إلا على ثغر، أو باحثًا عن ثغر؛ (وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا)(طه: ١١٢).

> “شتان بين مَنْ يُنعم بدنا، ويُهلك قلبا، ومَنْ يُتعب بدَنا ويُسعد قلبا.”

معاشر المسلمين، الدنيا تُقطع بأقدام، ومفاوز الآخرة تُقطع بقلوب، وإن في النفوس ركونا إلى السهل والهيِّن، ونفورًا عن المكلف والشاق، والحازم يرفع نفسه إلى معالي الأمور، ويروضها حتى تألف جلائل المطالب، وتطمح إلى أعالي الذُرى، حتى إذا ما عرفت العزة نفرت من الذلة، وإذا ذاقتْ لذة الروح استصغرتْ لذة الجسد: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾(الإسراء: ١٩).

اللسان لا يصمت، والجوارح لا تسكن، والفكر لا يُحدّ، فإن لم تُشغل بالعظائم شُغلتْ بالصغائر، وإن لم تستعمَل في الخير انصرفت إلى الشر؛ فسبحان مَنْ أشهَد بعض عباده جنتَه قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل فآتاهم من رَوْحها، ونسيمها، وطيبها، ما استفرغ قواهم بطلبها، والمسابقة إليها، حتى قال بعض السلف: "إنه لتمُرُّ بي أوقاتٌ أقول: إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيِّب"، نعم-حفظكم الله-، شتان بين مَنْ يُنعِم بدنًا، ويُهلك قلبًا، ومَنْ يُتعب بدَنا ويُسعد قلبًا، حُفّت الجنةُ بالمكاره، وحُفّت النارُ بالشهوات.

الإيمان له حلاوة

معاشرَ المسلمين: ما الذي دعا هؤلاء الأخيار ليقولوا ما قالوا؟ وما الذي بعث فيهم هذه الهمم العالية؟ إنه استطعامهم بحلاوة الإيمان، واستلذاذهم بلذيذ العبادة، يقول الحافظ ابن رجب-رحمه الله-: "الإيمان له حلاوة، وطعم يذاق بالقلوب، كما تذاق بالفم حلاوة الطعام والشراب، والإيمان هو غذاء القلوب وقوتها، كما أن الطعام والشراب هو غذاء الأبدان وقوتها، والجسد يجد حلاوة الطعام والشراب عند صحته، فإذا سقِمَ لم يجد حلاوةَ ما ينفعه، بل قد يستحلي ما يضرُّه، فكذلك القلب: يجد حلاوة الإيمان إذا سلم من مرض الأهواء المضلة، والشهوات المحرَّمة، وإذا مرض وسقم لم يجد حلاوة الإيمان، بل يستحلي ما فيه هلاكه، من الأهواء والبدع والمعاصي والمنكرات" انتهى كلامه-رحمه الله-.

معنى حلاوة الإيمان

معاشرَ الإخوة: ومعنى حلاوة الإيمان هو استلذاذ النفوس للطاعات، وتحمُّلها المشقات في رضا الله-عز وجل-، ورضا رسوله محمد-صلى الله عليه وسلم-، وإيثارها ذلك على عرَض الدنيا، ذلك أن حلاوة الإيمان ولذة العبادة هي راحة النفس، وسعادةُ القلب، وانشراحُ الصدر عند القيام بالمطلوبات الشرعيَّة، من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة من كل ما يحبه الله ويرضاه، وهي حلاوة عجيبة، تختلف من شخص إلى شخص، ومن حال إلى حال، وفيها قوة وفيها ضَعْف، ولها إقبال ولها إدبار؛ فسبحان مَنْ فاوَت بينَ الخلق في هِمَمهم، حتى ترى بين الهمتين أبعدَ ما بين المشرقين والمغربين.

من ثمرات حلاوة الإيمان

حلاوة الإيمان-عباد الله- مفتاح الثبات على طاعة الله، ولذة العبادة-حفظكم الله- سر الصمود أمام الفتن.

معاشرَ الأحبة: لذاتُ الدنيا مصحوبة بالمنغصات والمكدِّرات، ولذة العمل الصالح نقية خالصة، لذة الدنيا يعتريها الملل، ولذة العمل الصالح لا ملل فيها، بل كلما زاد من العمل الصالح زادت اللذة والسعادة، لذة الدنيا قد تُفوِّت على العبد لذةَ الآخرة، ولذةُ العمل الصالح مُدركةٌ في الدنيا

والآخرة.

الأسباب الجالبة لحلاوة الإيمان

أيها المسلمون: أما الأسباب الجالبة لحلاوة الإيمان ولذة العبادة فأولها وأهمها تزكية النفس وتطهيرها؛ فمن شرب من إناء متسخ فلن يجد الحلاوة التي ينشدها، ولو أنه نظفه وطهره، ثم سكب فيه الماء فسوف يجد الحلاوة الكاملة، والعذوبة التامة، والقلب الذي يتلبس بقاذورات المعاصي، وأدران الخطايا، وأوساخ الشهوات، لا يجد حلاوة الإيمان، وفي الحديث الصحيح: "ثلاثٌ مَنْ فعلهُنّ فقدْ طعمَ طعمَ الإيمانِ: مَنْ عبدَ اللهَ وحدهُ، وأنّهُ لا إلهَ إلا اللهُ، وأعطى زكاةَ مالهِ طيّبةً بها نفسُهُ، وزكّى نفسَهُ" أخرجه أبو داود، وغيره، بسند صحيح.

وفي دعاء النبي -صلى الله عليه وسلم-: "اللهم آتِ نفسي تقواها، وزكّها أنتَ خيرُ مَنْ زكّاها، أنتَ وليّها ومولاها"(رواه مسلم)، ويقول بشر بن الحارث -رحمه الله-: "لا يجد العبدُ حلاوةَ العبادة حتى يجعل بينه وبين الشهوات حائطًا من حديد".

أيها الإخوةُ: وتكون التزكيةُ بإقامة فرائض الله باطنًا وظاهرًا، ولزوم السُّنة، مستعينًا بالله، متبرئًا من حوله وقوته، وأول ذلك توحيدُ الله -عز وجل-، والإخلاصُ له، وصدقُ التوكل عليه، والاعتمادُ عليه، والاستعانةُ به، مع محبته ودوام ذكره، والسكون إليه، والطمأنينة إليه، وإفراده بالحب والخوف، والرجاء والتوكل؛ فيكون -سبحانه- هو المستولي على هموم العبد، وعزماته، وإراداته، فمن تعلّق قلبُه بربه وجد لذةً في طاعته، وامتثال أوامره، لا تدانيها لذة، ومن قرت عينه بالله قرت منه كل عين، فمن قرّت عينُه بالله قرّت منه كلُ عين، ومَنْ لم تقرّ عينُه تقطعت نفسُه عليه حسرات.

أيها الإخـوةُ: ومن التزكية أن يُجاهد العبدُ نفسَه في التوبة من الذنوب، ويُكثر التوبة والاستغفار، متبرئًا من حوله وقوته، سائلًا ربه الإيمانَ والتوفيقَ والتسديد، والعبد كلما ازداد عبودية لله وافتقارًا ازداد لنفسه ازدراءً واحتقارًا، وتعلّق قلبُه بربه وحده؛ ولهذا خاف مَنْ خاف من الصالحين النفاقَ على نفسه، يقول المطرِّف بن عبد الله بن الشخير: "لأنْ أبيتَ نائمًا وأصبحَ نادمًا، أحبُّ إليَّ أن أبيتَ قائمًا وأصبحَ مُعجبًا". فالمعجَب لا يصعد له عمل، وأنين المذنبين أحب إلى الله من زجل المسبّحين المدلين، وأحبُّ القلوب إلى الله قلبٌ تمكّن منه الانكسارُ، وملكه الافتقار، فهو ناكس الرأس بين يدَيْ ربه، لا يرفع رأسَه إليه حياءً وخجلًا.

ومن الوسائل العظيمة الجالبة للذة والحلاوة الدعاء؛ فهو السلاح الذي لا ينبُو، وقد جاء في الحديث: "وأسألك نعيمًا لا ينفد، وقرة عين لا تنقطع"(رواه أحمد).

وليُكثر العبدُ من قراءة القرآن بالتدبر، والتقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض، ومداومة ذكر الله، وإيثار محابه على محابِّ النفس عند غلبة الهوى، ومشاهدة برِّه، وإحسانه، وإكرامه، وإنعامه، واغتنام وقت السَّحر، ووقت النزول الإلهي، ومجالسة الأخيار والصالحين.

أعظم لذة في الدنيا والآخرة

وبعد عباد الله: فالمحبة العظيمة تُورث شوقًا عظيمًا، وأعظم لذة في الدنيا أن تستغفر الله، كما أن أعظم لذة في الآخرة هي النظر إلى وجهه الكريم؛ ولهذا جمع النبي -صلى الله عليه وسلم- في دعائه: "وأسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم، والشوقَ إلى لقائك"، يقول بعض السلف: "أطيبُ ما في الدنيا معرفة الله ومحبتُه، وأطيبُ ما في الآخرة رؤيتُه"، وقال بعض الصالحين: "مساكينُ أهل الدنيا؛ خرجوا منها وما ذاقوا أطيبَ ما فيها. قيل له: وما أطيبُ ما فيها؟ قال: محبة الله، ومعرفته وذكرُه". أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: (أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ)(الزمر: ٩).

من موانع حصول حلاوة الإيمان

أيها المسلمون: إذا كانت هذه هي حلاوة الإيمان، وهذه أسباب تحصيلها وآثرها فاعلموا أن من موانع حصولها المعاصي والذنوب؛ فإن المعاصي حجاب غليظ يمنع إدراك حلاوة الإيمان، ولذة

العبادة، لما تُورثه هذه المعاصي من قسوة وغلظة، وجفاء، حتى قال بعض السلف: "ما ضرَب الله عبدًا بعقوبة أعظمَ من قسوة القلب"، فرُبّ شخص أطلق بصره فحُرِم نورَ البصيرة، أو أطلق لسانه فحُرم صفاءَ القلب، أو آثر شبهة في مطعم فأظلم صدرُه، وحُرِمَ قيامَ الليل ولذةَ المناجاة"، يقول ذو النون-رحمه الله-: "وكما لا يجد الجسدُ لذة الطعام عند سَقَمه، كذلك لا يجد القلبُ حلاوةَ العبادة مع الذنوب".

ألا فاتقوا الله-رحمكم الله-، واعلموا أن الغموم والهموم والأحزان والضيق قد تكون عقوبات عاجلة، والإقبال على الله، والإنابة إليه، والرضا به، وامتلاء القلب من محبته واللهَج بذكره، والفرح والسرور بمعرفته هي ثواب عاجل وجنّة مُعجَّلة، وعيش كريم، لا يدانيه عيش، وترك المعاصي والذنوب فيه حياة القلوب، فإذا حيت القلوبُ ذاق العبدُ حلاوةَ الإيمان، ولذة العبادة، فراقبوا الله-رحمكم الله-، في جميع أعمالكم، وأخلصوا له، فمتى تحققت المراقبة حصل الأنس، فيا لَذة عيش المستأنسين، ويا لَخسارة المستوحشين.

هذا وصلُّوا وسلِّموا على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، نبيِّكم محمد رسول الله، فقد أمركم بذلك ربُّكم فقال عزَّ منْ قائل: (إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا)(الأحزاب: ٥٦).

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، واحم حوزة الدين، واخذل الطغاة والملاحدة وسائر أعداء الملة والدين، اللهم آمنّا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل اللهم ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك، يا رب العالمين.

اللهم إنا نسألك العافية من كل بلية، والشكر على العافية، اللهم إنا نستدفع بك كل مكروه، ونعوذ بك من شره، اللهم إنا نعوذ بك من البرص والجنون والجذام ومن سيئ الأسقام.

(رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ) (البقرة: ٢٠١)، (سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ) (الصافات: ١٨٠-١٨٢).

تهنئة

تتقدم أسرة مجلة التوحيد بأجمل التهاني للباحث: **عبد القادر فاروق محمد خليل**، وذلك بمناسبة حصوله على دراجة الدكتوراه في الفقه، من جامعة الأزهر الشريف، كلية الشريعة والقانون بتفهنا بالدقهلية، وكان موضوعها: «الآثار الفقهية المرتبة على تجاوز الحد الشرعي لاستخدام الشبكة العنكبوتية».

وتكونت لجنة الإشراف والمناقشة والحكم على الرسالة كلاً من الأساتذة:

أ.د/ علوي أمين السيد خليل، أستاذ الفقه المتفرغ بالكلية، مشرفًا أصيلاً.

أ.د/ حاتم أمين محمد عبادة، أستاذ الفقه المساعد ورئيس قسم الفقه بالكلية، مشرفًا مشاركًا.

أ.د/ رمضان عبد الله الصاوي، أستاذ الفقه وعميد الكلية، مناقشًا داخليًا.

أ.د/ محمد علي سلامة إبراهيم، أستاذ الفقه المتفرغ بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات الزقازيق، مناقشًا خارجيًا.

سائلين الله تعالى للباحث مزيدًا من التقدم، والله ولي التوفيق.

بموت تلميذ الفقي..
فجأة بالمصيبة وتصبُّر بالبشريات

كتبه تلميذه من المبتلين بفقده أ. د/ مرزوق بن محمد مرزوق

الحمد لله كما أمر ربي، والصلاة والسلام على نوري في دربي وآله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن الله تعالى قدّر وما يشاء ربي يفعل؛ ففي صباح الجمعة وفي الحادية عشرة بالتمام ونحن نستعد لصلاة الجمعة؛ فإذا بهاتف من الدكتورة سحر فتحي بنت شيخنا ووالدنا فتحي عثمان، وما كان لأحد في الجمعية أن يتجاهل مثل هذا التواصل الكريم؛ لما لمكانة الأسرة عندنا أجمعين، فمكانتهم من مكانة والدنا رحمه الله، فلما تواصلت معها إذ بها تخبرني بقضاء الله في الوالد، وكل شيء عنده بمقدار، فشاء الله أن نرتب في هذه الدقائق المعدودات قبيل الجمعة بلحظات؛ إذ لم يبق على الصلاة إلا القليل، شاء الله أن نرتب لمساجدنا من أفاضل الخطباء البدلاء ونصطحب إخواننا الأتقياء الأوفياء وننطلق لوالدنا رحمه الله، فلكم نَصح ووفى وما في سعينا إلا ردَ قليل لوفاء كثير.

تحركنا وما في أذهاننا ترتيب ولا تدبير، فكان وصولنا قبيل الجمعة، وبتقدير اللطيف الخبير ننتهي من الغسل والتكفين، وحمله إلى مسجد أنصار السنة فرع المنيرة الذي كان والدنا رئيسًا له لسنوات، وما مر من الجمعة إلا لحظات معدودات.

فقلت: وهذه ثاني البشريات؛ إذ كانت الأولى أنه مات بعد مرض طويل نحسبه مكفرًا للذنوب رافعًا للدرجات، والثانية هي هذا التيسير من الله، والثالثة هي الصلاة عليه بعد الجمعة في هذا الجمع المبارك الغفير يستغفرون له ويدعون، والرابعة أن الصلاة عليه في مسجده الذي أفنى فيه من عمره، وتصدق فيه من ماله؛ فلعله له شاهد، والخامسة: وفاته في يوم جمعة، وذلك من علامات حُسن الخاتمة. فقلت: الحمد لله على بشريات يرمقها أولو الألباب فهي علامات ودلائل للعلماء والطلاب.

ولشيخنا عندي شهادات أذكر منها ارتجالاً ما يحضرني بغير تحبير ولا إفراط ولا تكثير: منها أنه كان نقيًا تقيًا، فما وجدته حريصًا على منصب، ولا مصابًا في مقصد، رأيته يحرص على الخير مهما كان دون أيَ اعتبار إلا إلى المشروعية المعهودة منه ومن مشايخنا، ورأيته هينًا لينًا متواضعًا مع كبير سنَه ومقامه، ورأيته منفقًا حتى تحسب أنه من صفوة الأثرياء، والحقيقة أنه كان ميسورًا بستر الله على الأتقياء؛ إذ هو مكتفٍ بدخله الثابت من المعاش يكفيه ويتصدق منه على قدر استطاعته فلا تجده إلا غنيًا غير مكتنز للمال.

ورأيته مُحبًا لإخوانه يدفعهم للعمل والبذل ويضعهم في موضع الصدارة والعمل والإعداد، ورأيته وفيًا لإخوانه من السالفين أكثر من وفاء أبنائهم لهم، فيدفع الأبناء إلى برَ الآباء بجمع تراثهم ونشره صدقة على أرواحهم، ورأيته يتفقد حال إخوانه، ويبذل لهم على قدر وسعه من ماله وجاهه.

أما عن إحسانه لنا في المجلس؛ فقد وجدنا من والدنا الظهير الذي كان حريصًا على نصحنا، وتبجيحنا لأنفسنا نفرح بلقائه ويبش حين لقيانا، يحب الكلام واقفًا ليفهم ونستحي السماع له جلوسًا إذا تكلم، وإذا تكلم وفى شرحًا، وإذا استطرد ما استطعنا إيقافه تقديرًا وتوقيرًا، وإذا تمسك برأي اعتبرناه هو الجماعة طالما أنه من الرأي والرأي الآخر وليس من المقطوع فيه بجهة، إذا حضر كان حاضرًا، وإذا ناقش كان غالبًا، وإذا صدرناه تصدر شجاعًا لا يلين، صادقًا ليس من تصدره شين، ومع كبير سنَه ومقامه كان محسنًا في تفكُهه، مستنًا في تندره، حافظًا ذا رؤية، جريئًا له نظرة.

فعلى شيخ أنصار السنة من الله رحمات تترى، وله من تلامذته وأبنائه وإخوانه دعوات في جوف الليل إلى الله تصعد؛ فاللهم ارحم شيخنا ووالدنا فتحي عثمان، ووالدينا وأهلينا ومشايخنا وأصحاب الحقوق علينا وصالحي المؤمنين؛ إنك على كل شيء قدير، وأنت حسبنا ونعم الوكيل.

وداعًا أيها الشيخ الوفي!

إعداد **علاء خضر**

(كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) (العنكبوت:٥٧). لقد آلم علماء ودعاة جمعية أنصار السنة المحمدية وفاة فضيلة الشيخ فتحي أمين عثمان مؤرّخ الجمعية. فلا شك أن أكبر واعظ للإنسان هو الموت، فمهما امتدّ الأجل وطال العمر، فلا بد من الرحيل، ولو جعل الله الخلود لأحد من خلقه لكان ذلك لأنبيائه المطهرين، ورسله المقربين، وكان أولاهم بذلك صفوة أصفيائه صلى الله عليه وسلم كيف لا، وقد نعاه إلى نفسه بقوله: (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ) (الزمر:٣٠). فاللهم أنزل الصبر على أهل وذوي ومحبي الشيخ رحمه الله.

ورغم عزائنا في فضيلة الشيخ رحمه الله؛ إلا أنه ترك بلا شك بصمات واضحة ومعالم بيّنة وحبًا في القلوب لا ينقطع؛ لما يمتاز به من سلامة صدر وفطنة وذكاء وخفة ظل ووفاء. فقد كان رحمه همزة وصل بين قدامى أنصار السنة وبين العلماء والدعاة المعاصرين، فقد كان معاصرًا لهم رحمهم الله.

وكان كثيرًا ما يذكر مآثر وجهاد قدامى أنصار السنة في الدعوة إلى الله، وما لاقوه من عنت وصعاب وعقبات. وكيف واجهوا كل هذه الصعاب بإصرار وعزيمة وإرادة صلبة لا تتهاوى ولا تتراجع. فقد كان رحمه الله بهذه الكلمات يشحذ هممنا ويُصبّرنا على العناء ومواجهة الصعوبات والمواقف والعواصف التي تواجه الجماعة وتهدّد كيانها.

وقد كان رحمه الله يطالبنا بالصبر والتوكل على الله. ويطالبنا ببذل الجهد والإخلاص للدعوة، وكان كثيرًا ما يردد قوله: "من أخلص لهذه الدعوة المباركة أعزه الله وأغناه وكفاه".

وقد كان رحمه الله يتفقد آثار علماء أنصار السنة القدامى وأقوالهم وأعمالهم، فقد كان وفيًا لمشايخه رحمه الله، ذاكرًا لمحاسنهم يُجلّهم ويحترمهم، فقد كان يُضرب به المثل في الوفاء لقدامى أنصار السنة وحبّه لهم، منشغلاً بتراجمهم وذِكْر مآثرهم ليبيّن للدعاة مدى إخلاص القدامى وحبّهم لهذه الدعوة المباركة، وبذلهم من أجلها الغالي والنفيس.

فإن نحن ذهبنا نعدّد مآثر الشيخ والدروس المستفادة من حبّه لهذه الدعوة المباركة ووفاءه لها؛ لا يكفينا المقام لسرد حكايته الشائقة وأقواله الملهمة ودروسه اللافتة.

فأسأل الله أن يرحمه ويتجاوز عنه، وأن يتقبله عنده، ويخلفنا خيرًا منه؛ فأنت نعم المولى ونعم النصير. وصلِّ اللهم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

ليلة النصف من شعبان وحكم الاحتفال بها

إعداد الشيخ: فتحي أمين عثمان
رحمه الله

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده:

فهذا مقال من روائع الماضي كتبه شيخ مورخي الجمعية فضيلة الشيخ: فتحي أمين عثمان في عدد شهر شعبان ١٤٢٢هـ، وهو أول مقال خطه قلمه في مجلة التوحيد، قال رحمه الله تعالى: إن من الثوابت في الإسلام أن يُعبد الله وحده، وأن نعبده بما شرع، لا بما يشرِّع الناس بأهوائهم، «فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا» (الكهف: ١١٠).

ولقد تعرض الإسلام للبدع ومحدثات الأمور في العقائد والعبادات وغيرها، وكان ذلك بتخطيط ماكر نسجته عناكب الملل الضالة، وذهب الماكرون وجاء دور المقلدين الغافلين، على أنه من المتفق عليه عند أهل العلم والفقه بالدين أن البدع النابتة تنسي الكثير من السنن، فما يفعله بعض الناس في المواسم طغى على ما وقع فيها من أحداث هامة من أمر الإسلام.

ولقد كان من بين ما أحاطه الناس بالبدع والخرافات ليلة النصف من شعبان، ومما يورث الحسرة أنهم يعضون على تلك البدع بالنواجذ، ويرون إعادتهم إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم شيئًا غريبًا، ومن ذلك اعتقاد العامة وأشباههم أن ليلة النصف من شعبان ليلة ذات عبادات مخصوصة، وأن الاجتماع لإحيائها بالذكر والعبادة والدعاء وقراءة القرآن مشروع ومطلوب، وتبع ذلك أن ابتُدع لهم في إحيائها نظام خاص، فهم يجتمعون في المسجد عقب صلاة المغرب ويصلون صلاة خاصة باسم «صلاة النصف من شعبان»، ثم يقرؤون بصوت مرتفع سورة «يس» ثلاث مرات، ثم يبتهلون بدعاء يعرف بدعاء «النصف من شعبان» يتلقفه بعضهم من بعض ويحفظونه على خلل في التلقين وفساد في المعنى.

في حين ينكر الشيخ أبو الوفاء درويش في كتابه «القبلة» نسبة هذا الدعاء إلى الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، مبرئًا إياه من أن يقول قولاً يناقض القرآن الكريم مناقضة صريحة، ويصادم ما ورد في السنة الصحيحة مصادمة واضحة، معللاً ذلك، بقوله: تأمل هذه العبارة من الدعاء المشار إليه، اللهم إن كنت كتبتني عندك في أم الكتاب شقيًا أو محرومًا أو مطرودًا أو مقترًا عليَّ في الرزق فامح اللهم بفضلك شقاوتي وحرماني وطردي واقتار رزقي، وأثبتني عندك في أم الكتاب سعيدًا موفقًا للخيرات، فإنك قلت وقولك الحق في كتابك المنزل على لسان نبيك المرسل «يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ» (الرعد: ٣٩)، فإن ابن مسعود لم يعلم أن ما كتبه

الله على العباد هو ما علمه من الأسباب المفضية إلى مصائرهم، وعواقب أمورهم وخواتم شؤونهم مما يجري على سنته تعالى التي قال عنها: « سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا » (الفتح: ٢٣)، « وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا » (الإسراء: ٧٧).

هذا، ويقول الشيخ شلتوت: إن هذه الآية- يقصد تلك التي يحتج بها المبطلون- إنما سيقت لتقرير أن الله ينسخ من أحكام الشرائع السابقة ما لا يتفق واستعداد الأمم اللاحقة، وأن الأصول التي تحتاجها الإنسانية العامة كالتوحيد والبعث والرسالة وتحريم الفواحش دائمة ثابتة وهي «أم الكتاب» الإلهي الذي لا تغيير فيه ولا تبديل، وإذن فلا علاقة لآية المحو والإثبات بالأحداث الكونية حتى تحشر في الدعاء وتذكر حيثية له.

وعن العبارة التي وردت في الدعاء، وهي: «في ليلة النصف من شعبان المعظم التي يفرق فيها كل أمر حكيم ويبرم»، يقول الشيخ شلتوت: هو وصف غير صحيح لهذه الليلة، فإن الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم ويبرم هي ليلة القدر في رمضان بشهادة القرآن الكريم: « إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ » (القدر: ١)، وقوله تبارك وتعالى: « شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ » (البقرة: ١٨٥)، وقوله سبحانه وتعالى أيضًا: « إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ » (الدخان: ٣، ٤)، وبالجمع بين هذه الآيات نجزم يقينًا أن الليلة المباركة التي يفرق فيها كل أمر حكيم هي ليلة القدر إحدى ليالي شهر رمضان.

حسن جدًا أن يعرف الناس أن لهم خالقًا عليمًا حكيمًا سميعًا بصيرًا يبتهلون إليه ويرفعون إليه أكف الضراعة ويدعونه مخلصين له الدين ويفزعون إليه في قضاء الحاجات وكشف الكربات ودفع الملمات، فالدعاء علَم الإيمان وشعاره، وهو العبادة وصفوتها، وحسن جدًا أن يجتمع المسلمون لأداء الصلاة في جماعة، فالجماعة سنة من سنن الهدى لا يتخلف عنها إلا منافق، وحسن جدًا أن يتلو المسلمون سورة «يس» ويتدبرون آياتها، ولكن الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم يقول: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد». وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»، ولا جرم أن تخصيص هذه الليلة بمثل هذا النظام من القراءة والدعاء لم يكن عليه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أمر خلفائه الراشدين، فهو إذًا من محدثات الأمور التي نهانا الرسول صلى الله عليه وسلم عنها، والله تبارك وتعالى يقول: « وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ » (الحشر: ٧)، وقد بيّن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مظان إجابة الدعاء.

وعن عدم مشروعية الاحتفال بليلة النصف من شعبان وعن كونه بدعة يذكر سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله في كتابه «التحذير من البدع» قوله: «والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، وهي تدل دلالة صريحة على أن الله سبحانه وتعالى قد أكمل لهذه الأمة دينها وأتم عليها نعمته، ولم يتوفَّ نبيه عليه الصلاة والسلام، إلا بعدما بلغ البلاغ المبين، وبيّن للأمة كل ما شرعه الله لها من أقوال أو أفعال، فكل بدعة مردودة على من أحدثها ولو حسن قصده».

ويتابع سماحته الحديث عن تخصيص يومها بالصيام قائلاً: «وليس على ذلك دليل يجوز الاعتماد عليه، وقد ورد في فضلها أحاديث ضعيفة لا يجوز الاعتماد عليها، أما ما ورد في فضل الصلاة فيها فكله موضوع، كما نبه على ذلك كثير من أهل العلم».

وينهي سماحته كلامه قائلاً: «فلو كانت

ليلة النصف من شعبان أو ليلة أول جمعة من رجب أو ليلة الإسراء والمعراج يشرع تخصيصها باحتفال أو شيء من العبادات لأرشد إليه أو فعله بنفسه (أي الرسول صلى الله عليه وسلم) ولو وقع شيء من ذلك لنقله الصحابة رضي الله عنهم إلى الأمة ولم يكتموه عنها، وهم خير الناس وأنصح الناس بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام».

وبعد أن خلص سماحته إلى أنه لم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن أصحابه رضي الله عنهم شيء في فضل ليلة أول جمعة من رجب ولا في فضل ليلة النصف من شعبان نجده يقول: «فاعلم أن الاحتفال بهما بدعة محدثة في الإسلام، وكذلك تخصيصهما بشيء من العبادة بدعة منكرة.

وتأكيدًا لهذا المعنى السليم والحكم الصحيح يقول الشيخ شلتوت: والذي صح عن النبي صلى الله عليه وسلم وحفظت روايته عن أصحابه، وتلقاه أهل العلم والتمحيص بالقبول إنما هو فقط شهر شعبان كله، لا فرق بين ليلة وليلة، وقد طلب فيه على وجه عام الإكثار من العبادة وعمل الخير، وطلب فيه الإكثار من الصوم على وجه خاص، تدريبًا للنفس على الصوم.

وتعظيم رمضان إنما يكون بحسن استقباله والاطمئنان إليه بالتدريب عليه وعدم التبرم به، أما خصوص ليلة النصف والاجتماع لإحيائها وصلاتها ودعائها فلم يرد فيها شيء صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يعرفها أحد من أهل الصدر الأول». اهـ.

على أنه ينبغي أن يعرف أن تفضيل إنسان أو زمان أو مكان أو جهة عن غيره لا يكون لذاته، إنما يكون باجتباء الله له واصطفائه على ما سواه، فالحذر أن نقع في مصيبة الخلط بين ما يصح الاعتقاد به من غيب الله، وبين ما يُظَنُّ للعمل به على أنه فضيلة من الفضائل، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

عزاء واجب

توفي إلى رحمة الله تعالى فضيلة الشيخ / محمود إسماعيل، الرئيس السابق لجمعية أنصار السنة المحمدية ببورسعيد . اللهم فاغفر لعبدك الصالح محمود إسماعيل وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس وأسكنه فسيح جناتك، يا رب العالمين.

عزاء واجب

توفي إلى رحمة الله تعالى فضيلة الشيخ أحمد جاد رئيس فرع أنصار السنة بالعيادية. وتتقدم اللجنة العلمية بالمجلة وأسرة التحرير بخالص العزاء لأسرة الشيخ ومحبيه، سائلين الله تعالى أن يغفر له ويرحمه رحمة واسعة.

جمعية أنصار السنة المحمدية

الموقع الرسمي والوحيد لمجلة التوحيد

www.magalet-eltawheed.com

موقع
التوحيد
تابع مجلة التوحيد
على موقعها الإلكتروني
موقع
التوحيد
تابع مجلة التوحيد
على موقعها الإلكتروني

مفاجأة

التوحيد
أوسع المجلات الإسلامية انتشاراً في العالم
٤٨ مجلداً
اطلبوها من باعة الصحف والمكتبات
٨ شارع قولة - عابدين ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - ٢٣٩١٥٤٥٦

سعر الكرتونة

٩٢٠ جنيه مصري بدلا من ١١٧٠

هدايا قيمة

لأول ١٠٠ من المشترين

صدر حديثًا مجلد عام ١٤٤١ بسعر ٦٥ جنيهًا للنسخة

يوجد مجلدات لسنوات مختلفة سعر المجلد الواحد ٢٥ جنيهًا بدلا من ٤٠ جنيهًا

للحصول على الكرتونة الاتصال على الأستاذ / ممدوح عبد الفتاح : مدير قسم الحسابات بالمجلة

01008618513